الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة الرَّعد

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي **الهدايات القرآنية** بجامعة أم القرى

ومؤسسة **النبأ العظيم** الوقفية بمكة المكرمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾الرعد: [١].

١. فيها: تصديق لختام السورة السابقة؛ لأنه قال قبلها: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ يوسف: [١١١].

٢. التناسب بين سورتي يوسف، والرعد: لما تقدم في سورة يوسف قوله ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾يوسف: [١٠٣]. جاء تأكيد هذه الحقيقة في أول آية من سورة الرعد ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾.

٣. ومن التناسب بين السورتين: تحذير المكذبين والمستهزئين بالرسول قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾يوسف: [١١٠]. وقال ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

٤. فيها منتهى البلاغة وأعلاها في كلام الله: آية واحدة فقط: تبدأ بالحروف المقطعة التي أعجزت العلماء عن معرفة معانيها ثم تثني بالإشارة إلى علو منزلتها ﴿تِلۡكَ﴾ثم يأتي التقرير الذي لامرية فيه، وأنّ هذا القران هو الحق من الله الذي لا مرية فيه ثم تختم بحال أكثر الناس معه وأنهم لا يؤمنون به، فأي بلاغة أرفع من هذه !؟.

٥. يفيد: اسم الإشارة ﴿تِلۡكَ﴾التي يشار بها للبعيد بعد منزلة آيات الكتاب، وعلو شأنه، وعلو شأن من يؤمن به.

٦. قوله ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾فيه دلالة على وصف محذوف للكتاب يقدر بحسب كل متفكر؛ ليذهب فيه العقل كل مذهب: كالحكيم، المبين، الكريم...إلخ.

٧. ويفيد: قوله ﴿أُنزِلَ﴾صفة العلو لله تعالى، وعلو منزلة الكتاب، وعلو قدر من آمن به.

٨. فيها: أن من أسماء القرآن ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

٩. فيها تسلية للدعاة أن لا يحزنوا لكثرة من يكفر بالقرآن الكريم.

١٠. يفيد: كاف الخطاب في قوله ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾علو قدر النبي ﷺ عند ربه جل، وعلا وشرفه، والعناية به.

١١. فيها تطمين للنبي عليه الصلاة والسلام على أن ما جاء به الوحي حق، وأن إعراض أكثر الناس عنه لا يثنيه عن واجب الدعوة، فهو غير مكلف بهداية الناس ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ القصص: [٥٦]. وإنما عليه البلاغ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: [٥٢].

١٢. فيها: أن القرآن حق من عند الله.

١٣. فيها: شهادة الله لنفسه، وكتابه؛ فهو – تعالى – خير الشاهدين؛ وتصديقه: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ النساء: [١٦٦].

١٤. فيها: تشريف للنبي – ﷺ.

١٥. فيها: أن أكثر الناس، لا يؤمنون بالقرآن.

١٦. فيها: علم الله الغيب وما يستقبل من أفعال العباد؛ لدلالة المضارع في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وتصديقه: ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ الحاقة: [٤٩].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ الرعد: [٢].

١٧. فيها: استحضار قدرة الله، وعظمته.

١٨. فيها تعظيم الله لنفسه العلية بنسبة خلق المخلوقات، وتسخيرها، وتسييرها بأمره جل جلاله.

١٩. تفيد: عظم خلقه سبحانه وتعالى، وعظيم إبداعه، وكمال إتقانه، وقوة سلطانه، وشدة بأسه فلا إله غيره ولا رب لنا سواه إله عظيم، ورب لطيف وخالق متقن خلق فسوى وهو بكل خلق عليم فهو أحق من عبد له الخلق، والأمر وهو على كل شيء قدير.

٢٠. تفيد: كَمال قُدْرَته وعَظيم سُلْطَانه: وأَنَّهُ الَّذي بإِذْنه وأَمْره رفَع السَّماوَات بغَير عمد، بل بإِذْنه وأَمره وتَسخيره رفَعهَا عَن الْأَرْض بَعدا لَا تَنَالُ ولَا يدرك مداها، فالسمَاء الدنيا محيطة بِجَميع الْأَرْض وما حولها من الْماء، والْهواء من جَميع نواحيها وجهاتها وأَرجائها، مرتَفعةٌ عليها مَن كُلِ جانب على السَّواء، وبعد ما بينها وبين الْأَرض من كُل ناحية مسيرة خَمسمائةَ عام.

٢١. تشيرً إلى: شأن السماء، وخلقها، والتفكر فيها؛ كما قال: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ الغاشية: [١٨].، أي: ينظرون إلى السماء كيف رفعت.

٢٢. فيها: بديع صنع الله في خلق السماوات بغير عمد.

٢٣. تفيد: تعظيم الرب جل وعلا، واستحقاقه للعبادة فهو الخالق لهذه المخلوقات العظيمة الهائلة.

٢٤. فيها: ان الله مستو على العرش استواء، وعلوا يليق بعظته وعلوه وكماله.

٢٥. تفيد: إثبات صفة الاستواء على العرش للرب سبحانه، وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وقد ذكر الاستواء على العرش في القرآن الكريم في سبعة مواضع هذا أحدها، مما يدل على أهمية الإيمان، والإيقان بها من غير تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تشبيه، ولا تعطيل؛ لأن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: [١١].

٢٦. فيها: أن كل ما في الكون مسخر للإنسان.

٢٧. تفيد: كمال المنّة على الخلق من خلال قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾ أَيْ ذَلَّلَهُمَا لمنافع خَلْقه ومصالح عباده، كل ذلك ليعبدوه، ويشكروه ولا يشركوا به شيئاً.

٢٨. فيها: تذليل الله المخلوقات، والأمور العظام.

٢٩. فيها: إفراد الله بالخلق، والملك، والتدبير؛ فوجب إفراده بالعبادة؛ بقرينة: ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾؛ فالإقرار بالربوبية، يوجب الإقرار بالألوهية.

٣٠. فيها أن من أجل أسباب تحصيل اليقين في الله، ولقائه عبادة التفكر، والتدبر في آيات الله الشرعية، والكونية؛ المقروءة في كتابه، والمشاهده في كونه.

٣١. تفيد: أن كثرة الأدلة، وبيانها، ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث، والنشور، والإخراج من القبور.

٣٢. فيها وجوب التعلق بالله عز وجل وحده؛ لأنه الذي يدبر الأمر سبحانه وتعالى.

٣٣. فيها أن من ضل، ضل مع وجود الدليل، وأن من أراد الله له الهداية وصل.

٣٤. فيها: أن كل شيء عنده – سبحانه – بأجل مسمى.

٣٥. تفيد: بدلالة المناسبة كمال حججه وبراهينه في كتابه، وأن عدم إيمان أكثر الناس ليس نقصانا في الحجج، والبراهين الدالة على توحيده، فآيات الوحدانية بارزة في الكون كما أن دلائل القدرة بارزة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد: [٣].

٣٦. فيها: أن الآية السابقة تحدثت عن العوالم العلوية، وأحوالها، وهذه الآية تتحدث عن العوالم السفلية، وأحوالها.

٣٧. فيها: أن الخالق لجميع العوالم هو الله سبحانه.

٣٨. تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وسعة قدرته، وواسع سلطانه؛ وفي هذا دليل على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له.

٣٩. فيها: أن كل ثمرة منها نوعان.

٤٠. تأكيد الزوجين باثنين من باب تحقيق الامتنان، وتنكير الزوجين للتنويع.

٤١. تفيد: تمام النعمة من خلال خلق الأرض، ومدها، وإرسائها بالجبال، وأجرى فوقها الأنهار، وأنبت فيها من كل الثمرات، ونوعها في اللون، والطعم، والشكل، وفاضل بينها في الأكل كل ذلك منة لنا لنوحده، ونشكره، ولا نكفر به من إله قدير حكيم عليم.

٤٢. فيها: أن ذكر(اثنين) من باب الأقل فهناك من الثمار أكثر.

٤٣. فيها: أنه لا يدرك عجيب الصنع إلا بالتفكر.

٤٤. فيها: أن التفكر عبادة.

٤٥. فيها: الختم بالتفكر، لأن الاستدلال بها يحتاج إلى تأمل ونظر.

٤٦. فيها: أن التفكر يؤدي إلى المعرفة والتعقل.

٤٧. فيها تذكير بالنعمة وكيفية استعمالها، وتوضيح أهميتها، ويدب على ذلك بيان أهمية الأرض التي عليها معاش الإنسان، والجبال التي هي أوتادها، والثمرات باختلاف أشكالها وألوانها واختلاف الليل، والنهار من النوم الذي فيه السبات، والنهار الذي فيه المعاش، كل هذه من نعم الله علي عباده،كلما تفكر الإنسان في نعم الله زاد إيمانه ويقينه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ الرعد: [٤].

٤٨. فيها: أن الحديث لا زال عن بديع صنعه سبحانه في مخلوقاته.

٤٩. فيها أدلةٌ، وبراهين تدل على رب العالمين؛ تثبت المؤمنين، وتقيم الحجة على الملحدين: فمن هذه الأدلة: قوله تعالى ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ أي متقاربات؛ فدل التجاور على التنوع، والاختلاف في طبيعتها: فهذه قطعة رخوة تجاورها قاسية، وأخرى سبخة صفراء تجاور قطعة حمراء، وأخرى طينية سوداء تجاور قطعة رملية بيضاء؛ لتنوع ما يزرع فيها؛ وتعدد المنافع منها، وكل ذلك يلفت أنظار العقلاء إلى عظمة الخالق، وقدرته، وحكمته ورحمته بعباده.

٥٠. فيها الدعوة إلى النظر فيما حولنا من ما تخرجه الأرض الواحدة، والماء نفسه الاستدلال على وجود الخالق، وعبادته وحده.

٥١. فيها: بيان عظم جند الله التي يظهر أمامها عجز الإنسان، يدل على ذلك أن هذه الثمرة تخفى أطوارها حتى على زارعها.

٥٢. فيها كثرة وتعدد نعم الله علينا، مما يذكرنا بذكره وشكره.

٥٣. فيها: أن اختلاف الأنواع دليل على بطلان زعم الطبائعيين القائلين أن كل شيء من طبيعة الأرض.

٥٤. فيها: تفضيل لبعض المخلوقات على بعض.

٥٥. تفيد: أن التنوع آية تتجلي فيها قدرة الله، وبديع خلقه.

٥٦. الوصف بمتجاورات؛ يدل على أن اختلاف الألوان، والمنابت مع التجاور أشد دلالة على قدرته سبحانه العظيمة.

٥٧. وفيها أنه لا يلزم من مجاورتك للفاسق سيء الخلق مشابهتك له.

٥٨. لما تقدم قوله ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ ليعدد مظاهر القدرة الإلهية في تجاور الأرض، واختلاف ما يخرج منها؛ جاء قوله تعالى ﴿وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ ليدل على مظهر آخر لقدرته حيث يخرج من القطعة الواحدة ما له جذع واحد، وماله جذعان؛ وكل ذلك ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾ ثم يكون التفاضل في أُكله، وثمره؛ فيحار العقل السليم تسليماً وإذعاناً للخالق القدير المبدع؛ لما يرى من الآيات التي تدل عليه.

٥٩. فيها تفضيل بعض المخلوقات على بعض؛ لقوله: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنه دل بهذا على تفضيله بعض المخلوقات على بعض، مع استوائها فيما تساوت فيه من الأسباب"(١).

٦٠. فيها: أهمية الماء للزراعة، وهذا يذكرنا بالمحافظة عليه، وعلى مصادره، وهذا من الأمور الاستراتيجية للدول، ولذلك تبنى السدود للمحافظة عليه، والانتفاع به، والعالم يتابع أزمة سد النهضة القائمة بين عدد من الدول، وحروب المياه من الحروب المتوقعة في العصور القادمة.

٦١. في جمع الاعناب، والنخيل دليل على أنها أنواع متعددة، وفي هذا مزيد منة وتفضل من الله عز وجل على عباده.

٦٢. الجمع بين الفاكهة وهي(الأعناب) والحبوب (الزرع) إشارة إلى أهمية الجمع بينها لحاجة الجسد إليهما جميعاً، وأنه ليس من قبيل الترف.

٦٣. في تقديم الفاكهة على الحبوب إشارة إلى تقديمها في الأكل على سائر الطعام لسهولة الهضم والامتصاص.

٦٤. ترشد: إلى الدعوة إلى النظر في آيات الله، ومخلوقاته، والتفكر بما أودع فيها من خصائص.

٦٥. العقل مناط التكليف، واستعماله في النظر إلى آيات الله، وتدبرها، يهدي إلى الإيمان بوجود خالق مدبر لهذا الكون العجيب.

٦٦. اختلاف الثمار مع اجتماعها في المصدر (الماء والتربيه) دلالة على عظمة الخالق.

٦٧. فيها دعوه إلى الاستفادة من مزايا التنوع، واختلاف الأمزجة، والأخلاق.

٦٨. ودل قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أن من لم يعمل عقله في تلكم الآيات؛ كي تقوده إلى الإيمان، والإذعان لله الواحد الديان فليس بعاقل على مقاييس القرآن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الرعد: [٥].

٦٩. فيها: عناية الله بنبيه – ﷺ.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣٨٢/١.

٧٠. فيها أن إنكار البعث مما يتعجب منه؛ لظهور دلائله، ووضوح براهينه.

٧١. في الآية الكريمة أسلوب لغوي متميز؛ حيث جعل القرآن الكريم كلام الكافرين واعتقادهم مما يتعجب منه، وفي ذلك تسفيه لعقولهم..

٧٢. فيها: وجوب الإيمان باليوم الآخر.

٧٣. فيها: الرد على منكري البعث كالجهمية، وغيرهم.

٧٤. فيها: من أنكر البعث فهو كافر.

٧٥. تفيد: التنفير الشديد من الكفر بالله، والبعث.

٧٦. تفيد: أن الجزاء من جنس العمل؛ لأنهم لما غلوا عقولهم بالتعرف على الله بتوحيده، ومعرفة آلائه، غل الله أعناقهم، وخلدهم في الجحيم.

٧٧. اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من الآية يدل على بعدهم في الضلال، والكفر، والشقاء، والعذاب.

٧٨. تفيد ان عدم الإيمان بالبعث من صفات الكافرين.

٧٩. تفيد: أن من عذاب النار: الأغلال، والسلاسل.

٨٠. فيها: أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الرعد: [٦].

٨١. في الآية الكريمة النهي عن استعجال السيئات قبل الحسنات، بل إنَّ المنهج الرباني أن يسأل الانسان ربه الحسنات، ويستعيذ به من السيئات.

٨٢. الفعل المضارع ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يفيد: أن هذا دأبهم وأنهم مستمرون عليه.

٨٣. تفيد: انتكاس عقول أولئك القوم في طلبهم، واستعجالهم السيئة قبل الحسنة.

٨٤. تفيد: أن استعجال عقوبة الله تعالى، والتهاون بها من صفات الكفار.

٨٥. فيها: زيادة تعجب من حالهم فكيف يرون آثار الأمم السابقة، وماحل بهم ثم ينكرون ويستهزئون؟.

٨٦. فيها: أن حال الكفار مع الرسل واحد فهم يطلبون تعجيل العذاب تمرداً وطغياناً، واستهزاء وعناداً لأنبيائهم بل يزيدون على ذلك باتهامهم لهم بالكذب في دعوتهم.

٨٧. فيها أن من علامات الكفرة عدم الاتعاظ بما أوقع الله بالأمم السالفة من العقوبات.

٨٨. فيها ذم العجلة وهي "طلب الشيء، وتحريه قبل أوانه، وهي مقتضي الشهوة؛ لذلك صارت مذمومة في عامة القرآن.

٨٩. فيها مشروعية أن يتعظ المؤمن بمن سبقه من الأمم البائدة، والشعوب الهالكة.

٩٠. تفيد: أن سنن الله جاريه في الخلق ولا تحابي أحد ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾.

٩١. تفيد: التوجيه، والترغيب في دراسة تاريخ الأمم، واستقصاء الدروس والعبر من ذلك.

٩٢. فيها أن رحمة الله أقرب للعبد من عقوبته؛ مع ما لديهم من مستلزمات للعقوبة، فإن الله يمهل ولا يهمل، وإن رحمة الله قريب من المحسنين.

٩٣. في قوله تعالى: ﴿لِّلنَّاسِ﴾وقوله ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾دلالة على: سعة رحمة الله وعظيم تجاوزه عن الخلق حيث جاء بلفظ العموم ليدخل فيها كل النّاس، وجميع ظلمهم حتى قال عنها ابن عباس " أرجى آية في القرآن".

٩٤. فيها إثبات الصفات لرب الأرض والسماوات﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، وفي هذا رد على المعطلة.

٩٥. تفيد: أنه لا يغتر بحلم الله إلا ضال مفتون.

٩٦. فيها: الجمع بين الخوف والرجاء.

٩٧. فيها: أنه سبحانه جمع بين الوعد والوعيد ليعظم الرجاء به، وبفضله، والخوف من عقابه.

٩٨. تفيد: عظيم حلم الله عز وجل للناس على ظلمهم.

٩٩. فيها التخويف الأكيد من عقاب الله عز وجل؛ لأنه شديد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾الرعد: [٧].

١٠٠. فيها أن ديدن المبطلين السؤال عن الآيات؛ للتعجيز لا للتدليل على صدق المرسلين لذلك تكون النتيجة عدم الهداية.

١٠١. صلة الموصول تفيد: أن علة هذا العناد، والتعنت هي الكفر، وهو الذي حملهم على هذه الاقتراحات.

١٠٢. تفيد: أن المشركين، والكفار يؤمنون بعلو الله تعالى ولذلك قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ولعل هذا من بقايا الفطرة التي فطر عليها الخلق جميعاً وهي الإقرار بعلو الله سبحانه وتعالى.

١٠٣. فيها: دليل على مكابرة الكفار، وعنادهم، وإلا فقد أنزل الله على رسوله من الآيات ما يغني البعض منه.

١٠٤. في ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾الإتيان بصيغة الحصر لبيان أنه ﷺ مرسل لإنذار العباد، وبيان ما يحذرون عاقبته، وليس عليه غير ذلك.

١٠٥. تفيد: توجيه المؤمن للنظر في الجوهر لا المظهر، وفي المعاني لا المباني﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾.

١٠٦. فيها توجيه للدعاة لمراعاة أحوال المدعوين؛ لأنه اقتصر على ﴿مُنذِرٌ﴾مع أنه مبشر أيضا؛ لأن حالهم يدل على العناد؛ والشقاق.

١٠٧. فيها أن على الداعية أن يكون قويا وواضحا في طرحه، وليس عليه الإذلال لمقترحاتهم المزجاة.

١٠٨. فيها دليل على إثبات نبوة النبي ﷺ.

١٠٩. رد الله اقتراحهم من أصله بقوله ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾، فقصر النبي ﷺ على صفة الإنذار"[١].

١١٠. فيها أن الإنذار، والهدى متلازمان فما من إنذار إلا وهو هداية، وما من هداية إلا فيها إنذار، والهداية أعم من الإنذار، ففي هذا احتباك بديع"[٢].

١١١. فيها فضل الله عز وجل على عباده فقد جعل لكل قوم هاد فمن أعرض عنه فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) التحرير والتنوير ٩٥/١٣.

(٢) التحرير والتنوير ٩٥/١٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ الرعد: [٨].

١١٢. فيها بيان شمول وسعة علم الله تعالى.

١١٣. تفيد عظمة الله تعالى الذي أحاط بجميع خلقه علماً.

١١٤. تفيد ان الحمل من خصائص الإناث، وفي ذلك رد على دعاة المثلية.

١١٥. تفيد ان السقط لا يكون غلا بتقدير الله تعالى.

١١٦. فيها أن مما استأثر الله بعلمه علم ما في الأرحام ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة لقمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ لقمان: [٣٤].

١١٧. فيها: أن العلم لا يعارض الدين في معرفة ما في البطن من ذكر أو أنثى. لكن لا يعلم أشقي أم سعيد. ولا الزيادة في الحمل أو النقصان..

١١٨. فيها إثبات القدر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ الرعد: [٩-١٠].

١١٩. مناسبة الآية لما مضى ف "لما كان العلم، والحكمة لا يكتملان إلا بكمال القدرة، والعظمة قال: ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: الذي يتضاءل عنده كل ما فيه صفات تقتضي الكبر، ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ الذي لا يدنو – من أوج علوه في ذات، أو صفة، أو فعل – عال"(١).

١٢٠. في تقديم الغيب على الشهادة إشارة إلى أن عالم الغيب أكثر، وأعظم من عالم الشهادة، فالغائب عن الخلق أكثر، وأعظم مما يشاهدونه.

١٢١. تفيد: عظمة الله تعالى الذي أحاط، ووسع كل شيء علماً، وصفاته مباينة لصفات جميع خلقه.

١٢٢. فيها: أن الله كبير في ذاته، وأسمائه، وصفاته، مستعل على خلقه بذاته، وقدره، وقهره.

١٢٣. تفيد إثبات العلو المطلق لله تعالى.

١٢٤. فيها: إثبات اسمين من أسماء الله تعالى: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾.

---

(١) نظم الدرر ١٢٩/٤.

١٢٥. تشير إلى: إحصاء الله لأعمال العباد؛ لأنه لم يرد مجرد العلم والإحاطة فحسب؛ وتصديقه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الزخرف: [٨٠].

١٢٦. فيها: أن علمه سبحانه محيط بكل شيء.

١٢٧. تفيد: تفرده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد.

١٢٨. فيها: بطلان كل من يدعي علم الغيب من الدجالين المكذبين فالغيب لله تعالى.

١٢٩. فيها: أن السر، والجهر مستويان في علمه سبحانه.

١٣٠. تقديم السر على الجهر؛ لإظهار كمال علمه سبحانه.

١٣١. فيها: أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في ظلمة الليل، أو في رابعة النهار.

١٣٢. تفيد: أن الأصل الخفاء، والسكون بالليل، والحركة، والنشاط بالنهار.

١٣٣. تشير إلى: تقوى الله فيما يجهر، ويسر من الكلام؛ فلا غيبة، ولا نميمة.

١٣٤. تفيد: مراقبة الله عز وجل في السر، والعلن، وخشيته في الغيب، والشهادة.

١٣٥. فيها: تعريض بتهديد المشركين المتآمرين على النبي عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ الرعد: [١١].

١٣٦. فيها من التناسب: أنه لما ذكر تعالى حفظ أعمال العباد، وإحصاءها، ذكر بعدها أن مدار التغيير إنما يكون بتغيير النفس، ومناطه في تغيير هذه الأعمال، والارتقاء بها.

١٣٧. تفيد: كمال رحمته تعالى بعباده، حيث جعل لهم ملائكة تحميهم وتحرسهم.

١٣٨. تفيد: الإيمان بالملائكة، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون مايؤمرون.

١٣٩. فيها وصف لوظيفة من وظائف الملائكة، وهي حفظ بني آدم.

١٤٠. التنكير والتنوين في قوله تعالى: ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ يفيد: تعظيم أمرهم وتهويله، والجمع يشير إلى كثرة الملائكة؛ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا﴾ المدثر: [٣١].

١٤١. فيها: بيان ضعف العباد، وأنهم مربوبون محتاجون إلى معونة الله، ولو وكلهم إلى أنفسهم لهلكوا.

١٤٢. فيها أن هذا الحفظ إنما يكون بأمر الله عز وجل.

١٤٣. فيها أن الحفظ يشمل حفظ الأعمال التي يقوم بها ابن آدم.

١٤٤. فيها: بيان عدل الله عز وجل؛ وأنه لا يظلم العباد شيئاً.

١٤٥. فيها رد على طوائف أهل البدع ممن يزعمون أن الإنسان مسير، وهو كالريشة في مهب الريح، أو كساقط من الدرج، لا إرادة له، وقد أثبت الله عز وجل القدرة، والإرادة، والاختيار للعباد، وهذا ظاهر في إناطة قضية التغيير بإرادة العبد واختياره، وكله بتوفيق الله ومعونته.

١٤٦. فيها ربط النتائج بالأسباب، وهذا ظاهر في قضية التغيير في الآية.

١٤٧. فيها تلويح إلى أن أمر الإصلاح مسؤولية جماعية، وهذا ظاهر في ربط تغيير المجتمعات بالإشارة إلى كونه مسؤولية جماعية ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

١٤٨. فيها أن مبتدأ التغيير يكون من عامة المجتمع (القوم) ثم يلي التغيير من الله تعالى لقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

١٤٩. فيها أن الله ينعم على العباد، ويتحبب إليهم بالنعم، والأمن والحفظ.

١٥٠. فيها أن التغيير يأتي بعد أن تنشأ أسبابه من العباد، وحتى يغيروا ما بأنفسهم.

١٥١. فيها أنه لما كان التغيير يحصل بما يحدثه العباد عُلم أن المجتمع لا يخلو من عاصٍ، أو مذنب، وأن المؤخذة للجميع لا تكون إلا إذا عم الحال.

١٥٢. فيها أن مدار التغيير وفق سنن الله تعالى يقع على ما تكنه النفوس من إيمان، وشكر، أو جحود، وكفر.

١٥٣. فيها أن الجزاء من جنس العمل، فإن من يتحول، ويتغير إلى الأحسن، يعينه الله على ذلك، ويغير ما به.

١٥٤. فيها أن صلاح الأنفس، والعباد، والبلاد لا يكون إلا بالمجاهدة، يؤيده قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت: [٦٩].

١٥٥. تفيد: خطورة الذنوب، والمعاصي؛ وأن الله تعالى لا يسلب النعم، ولا يحل النقم إلا بالذنوب.

١٥٦. فيها الإيمان بأقدار الله عز وجل؛ وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

١٥٧. فيها اللجوء إلى الله عز وجل في دفع النقم وجلب النعم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾.

١٥٨. من ضياع الأعمار سدى أن ينتظر الناس تغير أحوالهم من النقمة إلى النعمة، وهم مقيمون على المعاصي، والبعد عن ربهم ودينه

١٥٩. فيها إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى، والرد على المعطلة، والجهمية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ الرعد: [١٢].

١٦٠. تفيد: تعدد آيات الله الكونية الدالة على وجود الخالق البديع.

١٦١. تفيد: تنوع الخطاب الديني في زيادة الإيمان، ومعرفة الله.

١٦٢. فيها: أن البرق، آية من آيات الله؛ كما قال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ الروم: [٢٤].

١٦٣. التفكر، والتأمل بحوادث الكون نعمة، وعبادة لا يهتدي لها الا الموفق.

١٦٤. تفيد: عبادة الله بين الخوف، والرجاء.

١٦٥. من رحمة الله تعالى بعباده أتى بالطمع مؤخراً ليكون ناسخا لما قبله من الخوف لمجيء الفرج بعد الشدة، واليسر بعد الأمر المخوف وهو معنى قوله ﷺ " وأعلم أن الفرج مع الكرب".

١٦٦. ومن اللطائف أيضا في تقديم الخوف على الطمع، أن كانت الصواعق تقع من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد توافر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يكذب.

١٦٧. في هذه الآية على قصر ألفاظها، أحسن التقسيم لأنّ الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، ليس فيهم ثالث، وهو أسلوب قريب من السبر والتقسيم التي يحصر في الأوصاف، ثم يُخرج ما لا يصلح، فما بقي فهو المتعين، فهنا قسم ربنا جل وعلا الكلام قسمة مستوية تحتوى

على جميع الأنواع، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فما أجله من كلام وما أعظمه من حصر.

١٦٨. فيها أن حال العارف بالله أنه يدور بين خوف، ورجاء.

١٦٩. تفيد: أنّ ما ظاهره النعمة قد يحمل في طياته النقمة.

١٧٠. فيها دلالة على قدرة الله عز وجل العظيمة حيث جمع في الشيء الواحد بين الخوف، والطمع، جلت قدرته سبحانه وتعالى.

١٧١. فيها دلالة على ضعف الإنسان وأنه يخيفه البرق، وترعبه الصواعق.

١٧٢. فيها: الفرق بين الخوف، والطمع، فالخوف انفعال قوي يدفع الإنسان للحذر والاحتياط، والطمع يعرف بأنّه نزوع النفس للشيء شهوة له. بمعنى أنّ الطمع يعبر عن دافعية التملك، ودافعية التملك تحفز الإنسان للعمل بنشاط وجد في الحصول على أكبر قدر من الأشياء، وتمكنه من وضع أهداف يسعى لتحقيقها.

١٧٣. فيها: أن المطر، بفضل الله ورحمته.

١٧٤. نلاحظ في هذه الآية الارتباط بين حالتي الخوف، والطمع، ومنبئات نزول الأمطار من برق، وظهور للسحاب الثقال.

١٧٥. تفيد: أن السحاب، مسخرات بأمره تعالى؛ لأنه إذا كان هو – سبحانه – الذي ينشئ السحاب المثقل بماء المطر الغزير، فهو الذي يأمرها أن تمطر، أو تقلع.

١٧٦. فيها: جواز جمع الصفة مكسَّرا ومصحَّحا كما في هذه الآية الكريمة من قوله" ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾وكما في قوله تعالى"خاوية " ومنقعر" كلاهما في وصف النخل، وقد وصف أيضا بقوله" باسقات"، بمعنى أنه يجوز في الصفة التذكير على اللفظ؛ لأنّه جنس مع الإفراد، والتأنيث على تأويل معنى الجماعة، وهذا يدل على سعة وعمق هذه اللغة وأن لها الصدارة بين لغات العالم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾الرعد: [١٣].

١٧٧. فيها إثبات تسبيح الرعد.

١٧٨. الفعل المضارع (يسبح) يدل على دوام واستمرار الرعد والملائكة في تسبيح الله تعالى وتمجيده.

١٧٩. فيها هذا إشارة إلى فضل الاستمرار على العبادة والدوام عليها.

١٨٠. فيها: إقران الحمد مع التسبيح، وأن هذا من كمال الذكر؛ لقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾

١٨١. فيها فضل التسبيح، والتحميد وأن المخلوقات مسبحة بحمد ربها سبحانه وتعالى.

١٨٢. فيها أن المخلوقات لها صفات لا ندركها ولم يصل إليها العلم النظري مما يدل على قصور علم الناس ما لم يعلمهم الله.

١٨٣. فيها دعوة للانسجام مع الكون الخاضع المسبح لله العظيم.

١٨٤. في الإلف آفة كما هو الحال في الغفلة، في الآية تنبيه على: ألا تتعامل مع آيات الله الكونية بالإلف، والعادة، بل تعامل معها بالتفكر، والتأمل.

١٨٥. فيها إشارة إلى أن الذي لا يوحد الباري، ويمجده؛ إنما هو يسير بحركة مضادة للكون السائر إلى الله طواعية ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾فتأمل حجم الشقاء والعناء!!

١٨٦. فيها: بيان الأدلة الدامغة على وحدانية الله عز وجل، وكمال قدرته.

١٨٧. فيها أن الله هو الذي يقدر ما يحدث، وما يصير بفعله، وأمره، ومشيئته، فيلزم التسليم بالقضاء، والقدر.

١٨٨. فيها: تأكيد الخوف من الله؛ فإذا كانت الملائكة – على عظمها – تخافه، فغيرها من باب أولى وأحرى.

١٨٩. فيها علم الملائكة بالله جلت قدرته.

١٩٠. منها: أن علاج الخوف كثرة التسبيح، والتنزيه لله سبحانه، وبحمده.

١٩١. مجيئ الكلام الحديث الغائب: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾، ﴿خِيفَتِهِۦ﴾، ﴿وَيُرْسِلُ﴾، لأنهم لما غفلوا عن هذه العظمة ناسب عدم مخاطبتهم بها مباشرة.

١٩٢. فيها تحريم الجدال في الله تعالى؛ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ الحج: [٨].

١٩٣. يمكن القول أنه قابل ما يرافق الجدال من ارتفاع الأصوات بصوت الرعد غير العاقل المسبح، وقابل ما أخفى المجادل من كيد بما عند الملائكة المعافاة من الذنب من خوف، ليقف المجادل على حجمه وعلى شناعة فعله.

١٩٤. وإن شئت قلت: لا يجادل في الله، إلا مكابر؛ وتصديقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ غافر: [٥٦].

١٩٥. فيها: أن العلم والحجج على صاحبها وبال ما لم يصحبها ذل لله، وخضوع، وعمل.

١٩٦. تفيد: أن اقدار الله ماضية، وأمره نافذ.

١٩٧. فيها: تسفيه لعقولهم وأقوالهم، ومحاجتهم.

١٩٨. تفيد: أن الرد عليهم، وعلى حججهم قد لا يكون بالقول وإنما بالابتلاء والعقوبات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ الرعد: [١٤].

١٩٩. فيها: أنه سبحانه وحده المستحق لأنواع العبادة من خوف، ورجاء، ورغبة، ورهبة، وإنابة.

٢٠٠. فيها: أن أي دعوة لا تستند على الكتاب، والسنة فهي باطلة.

٢٠١. فيها: التذكير بفضل التوحيد، وعبادة الله وحده؛ فقد قال النبي - ﷺ -: "إن الله يستحيي إذا رفع العبد يديه، أن يردهما صفرا خائبتين"(١).

٢٠٢. فيها: عجز المعبودات من دون الله؛ فهي لا تنفع نفسها، فكيف بغيرها.

٢٠٣. فيها: خيبة المشرك بالله، وأنه لا يعود بأدنى شيء إذا دعا غير الله.

٢٠٤. فيها: أن من دعا وتضرع لغير الله خذل، وذل وخاب.

٢٠٥. فيها أن المشرك، منكوس الفطرة؛ لأنه - تعالى - شبه المشرك بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليتناوله، وليس له ذلك؛ لأن صاحب الفطرة السوية يقبض كفيه ليبلغه.

٢٠٦. فيها: أنه لا شيء يروي القلوب إلا الله، وكلما لهث القلب لغير الله عطش، وتصحر.

---

(١)قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ١٧٥٧ في صحيح الجامع.

٢٠٧. التعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾، للإشارة إلى أن المشرك لو استمر، وقام على دعوتهم، فلن يستجيبوا له أبداً ولو بمثقال ذرة؛ قال الله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ سبأ: [٢٢].

٢٠٨. فيها: أسلوب تربوي، وهو ضرب المثال، وتقريب المعاني محسوسة.

٢٠٩. تشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يوسف: [٤٠].

٢١٠. فيها إشارة إلى العناية بأمثال القرآن الكريم، واستعمالها في الدعوة، والبيان، والتفهيم.

٢١١. يمكن عد هذا المثل من باب العلاج المعرفي للاضطرابات العقلية، والنفسية حيث يستخدم المعالج النفسي إحدى الفنيات العلاجية التي تسمى" الهجوم على المعتقدات اللا عقلانية للمريض" وهو هجوم غير موجه ضد المريض بل ضد معتقدات غير واقعية، وهذا يتطابق تماماً مع المثل في الآية القرآنية، والعلاج المعرفي هو من أشهر التيارات الحديثة حالياً وأقواها – المنسوب لكل من آرون بيك وآلبرن إيليس"[(١)] في مجال علاج الاضطرابات النفسية والعقلية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ الرعد: [١٥-١٦].

٢١٢. فيها أن السجود لا يكون إلا لله الملك المعبود؛ دل على ذلك الحصر في تقديم ما حقه التأخير.

٢١٣. فيها اتجاه الكون كله نحو السير في طاعة الله إلا عصاة الإنس والجن.

٢١٤. فيها أن كل المخلوقات مفطورة على التعبد، والتذلل لله تعالى.

---

(١) يستعان بكاتب الهداية في توثيق المعلومة من مصادرها.

٢١٥. فيها: أن كل شيء ساجد لله عز وجل وحده طائع أو مكره، سجود ذل، وقهر، وخضوع.

٢١٦. فيها: تخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون الأمر عاماً لأنهم الأساس.

٢١٧. ومن حكمة السجود عند قراءتها أن يضع المسلم نفسه في عداد ما يسجد لله طوعاً بإيقاعه السجود، وهذا اعتراف فعلي بالعبودية لله تعالى"[(١)].

٢١٨. بينت الآية الكريمة العبودية الكونية وهي الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات، والأرض من مؤمن، وكافر، وبر، وفاجر، لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه، وهذا لا يؤجر عليه، ولا يترتب عليه جزاء، لأنه لا حيلة للمكلف فيه، أما العبودية الشرعية، وذلك بتوحيد الله، وإفراده بالعبادة، فهذا ما يحمد عليه المكلف، ويثاب عليه، ويترتب عليه الجزاء.

٢١٩. فيها: بيان خضوع كل من خلق الله عز وجل له سبحانه، وتعالى فهو الرب الواحد القاهر الذي له الملك كله وإليه يرجع الأمر كله.

٢٢٠. فيها: تأكيد على عمى المشرك، وخسارته؛ فإذا كانت هذه المعبودات تخضع لله، فكيف له أن يعبدها من دونه – سبحانه؟!؛ ولذا كان الشرك، أعظم الفرى؛ وتصديقه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾النساء: [٤٨].

٢٢١. فيها: بيان أحوال الخلق في السجود، منهم من يسجد طوعاً وهو المؤمن، ومنهم من يسجد كرهاً وهو الكافر.

٢٢٢. بيان عظمته سبحانه وتعالى، وشدة سطوته، وعظيم سلطانه فكل الخلائق تنقاد له سبحانه، وتعالى، وتحت مشيئته، وقدرته، وإرادته، وتصريفه، فسبحانه من إله عظيم ورب قادر قاهر.

٢٢٣. وفي كلمتي ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾اللتين جاءتا منصوبتين على الحال تأكيد لذلك، ثم يأتي التأكيد الآخر في كلمة﴿وَظِلَٰلُهُم﴾لتكتمل الصورة البيانية في أرقى، وأنقى، وأصفى ملامحها، فإن سجود ظلال الكائنات يؤكد خضوع الجميع لله عز وجل؛ المؤمن يسجد، ويخضع عبادةً لله، والكافر

(١) التحرير والتنوير ١١٢/١٣.

يخضع خضوعاً قسرياً، وإن تظاهر بالكفر، والعصيان، فأساس فطرته خضوع للخالق، وظلِ جسمه يسجد لله عز وجل.

٢٢٤. يفيد: تقديم الطوع على الكره كثرة من يخضع، ويسجد لله تعالى من المخلوقات في السماوات، والأرض طوعاً، وأن هذا هو الأصل في تلك المخلوقات، وأن من يخضعون يسجدون لله تعالى كرها أقل منهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾فصلت: [١١].

٢٢٥. عبادة الله حاجة وراحة للأرواح، لا مستغنٍ عنها إن لم تكن طوعا كانت لا محالة كرها.

٢٢٦. في الآية الكريمة: ورود المصدر النكرة حالاً، وهو جادة كلامهم، وهو كثير في كلامهم، ويقابله، مجيئه معرفة، وهو قليل نزر، قال ابن مالك رحمه الله في الخلاصة:

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغتة زيد طلع.

٢٢٧. فيها: ذكر الظلال لأنه أدعى للعمل لله، وأبعد عن الناس.

٢٢٨. فيها فضل التوحيد، وقبح الشرك، وأن التفاضل بينهما كما بين الأعمى، والبصير، والظلمات والنور.

٢٢٩. فيها: تقرير تفرده عز وجل بربوبية السماوات، والأرض؛ خلقا وملكاً وتدبيراً.

٢٣٠. استخدام أسلوب التساؤل، ولو فيه معنى الانكار على المخالف أو التعجب من حاله مشروع في الدعوة.

٢٣١. فيها: الإنكار على المشركين اتخاذهم من دون الله أولياء مع إقرارهم بربوبيته وحده.

٢٣٢. فيها: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٢٣٣. فيها: أن كل ما يعبد من دون الله من أولياء من الأصنام، والأوثان وصالحين وغير ذلك، لا يملك لنفسه جلب نفع، ولا دفع ضر، ولا لغيرها، بل هم مربوبون لله تعالى.

٢٣٤. تفيد: أن التوحيد هو المدخل الاساس الذي يقود إلى اليقين، وخشوع القلب، وكل ذلك إذا استعمل الإنسان عقله الذي حباه الله.

٢٣٥. فيها: استخدام الحوار المعتمد على تحكيم العقل إذا لم تكن هنالك نقاط تلاق أخرى.

٢٣٦. فيها التنويع في عرض الشواهد، والحقائق، وتعدادها مهم للإقناع.

٢٣٧. تكرار فعل الأمر ﴿قُلْ﴾: يدل على التزام النبي ﷺ بما يوحى إليه من ربه فما ينطق عن الهوى.

٢٣٨. تفيد انه ليس لمشرك حجة عند الله تعالى.

٢٣٩. تفيد كمال ربوبيته ووحدانيته وقهره جل وعلاز

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ الرعد: [١٧].

٢٤٠. فيها أن السماء تأتي بمعنى العلو؛ لأن المطر لا ينزل من السماء المبنية، وإنما من السحاب.

٢٤١. جاء الترتيب في هذه الآية وفق ترتيب الأحداث في الواقع، وهو أمر مستحسن بديع، فمن البديع إذا أراد المتكلم أن يذكر أوصافاً متعددة لموصوف واحد، أن يذكرها على وفق ترتيبها الطبيعي، دون إخلال، ما لم يدع داع بلاغي آخر يحرص المتكلم أن يشير إليه بمخالفة الترتيب الطبيعي، وسموا ذكر الأوصاف المتعددة متتابعة على وفق ترتيبها الطبيعي "ترتيباً"، ومن أمثلة مراعاة الترتيب أيضا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ غافر: [٦٧].

٢٤٢. فيها: عناية الله تعالى بالناس جميعاً، حيث أورد فيها مثالين: مثال لمن يعيشون في البوادي والقرى واعتادوا أن يروا السيول حال نزولها وما تحمله من ماء نافع وما يطفو على هذا الماء من زبد يذهب جفاء، ومثال آخر لأهل المدن الذين لم يعتادوا رؤية السيول الجارفة فضرب لهم مثلاً بما يعتادونه، ويشاهدونه، وهو صياغة المعادن، وما يطفو على هذه المعادن إذا أدخلت النار من زبد يذهب جفاء، وفي كلا المثلين أبان الحق أن الزبد ذاهب لا محالة، وأن النافع باق راسخ لا محالة، سواء في مثال الماء النازل من السماء، أو في مثال الذهب والفضة الموقد عليه، وكذلك الحق باق لا محالة، والباطل زاهق لا شك في ذلك ولا ريب، والحق نافع للناس وكذلك الذهب والفضة، والزبد زائل لا نفع فيه البتة، وكذلك الباطل في سرعة زواله وعدم انتفاع الناس منه.

٢٤٣. قوله تعالى: ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾بيان للحق وثباته، والباطل واضمحلاله، فالحق هو الماء، والباطل هو الزبد.

٢٤٤. في تشبيه القلوب بالأودية إشارة إلى أنها كلما تواضعت كلما استفادت، وكسبت من العلم، والهدى كما الأودية كلما انخفضت كلما كانت حصتها من الماء أكبر.

٢٤٥. في المثلين إشارة إلى مكانة الحق، وقيمته، في الأول بالتذكير بمصدره الرباني ﴿أَنزَلَ﴾، العلوي السماوي: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، الأساسي الذي هو مصدر الحياة وقوامها (ماء). وفي المثل الثاني: بتشبيهه بما يحرص الناس على اقتنائه وبذل الجهد واحتمال حر الكير لتحصيله، إما طلباً للجمال، أو لضرورة الانتفاع.

٢٤٦. الاحتراس بقوله ﴿بِقَدَرِهَا﴾أي بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار وإلا فلو طما واستحال سيلا لا جتاح الأخضر، واليابس، ولأهلك الحرث والنسل.

٢٤٧. وقد يكون في قوله تعالى: ﴿بِقَدَرِهَا﴾: الإشارة إلى علم الله تعالى الواسع، والذي لا يحتمله العقل البشري بل لو أنه اطلع عليه قد يكون مصيره مصير ما يحدثه السيل العارم المهلك. لذا لم ينزل منه تعالى الا المقدار الذي يحتاجه البشر.

٢٤٨. تفيد: البلاغة في تشبيه الضلال بزبد السيل، الذي (يرافق) السيل دوماً، ويصاحبه فلا يسلم سيل منه كما لا يسلم حق من ملابسة ضلال، وكلما زاد السيل كماً، وسرعة كلما زاد حجم الزبد وكذا الحق كلما ظهر قوياً كلما اشتد محاربة الضلال له، وكما أن الزبد هو الظاهر للعيان أكثر بكثير من الماء الذي تحته فيخدع أهل الأهواء ومجانين المظاهر، وهو مصاحبه وعلى تماس مباشر معه رغم البون الشاسع في ماهيتهما فذا رغوة جوفاء وذاك مادة أصيلة ولكنهما متماستان بحيث قد يشتبه على فاقد البصيرة الأمر لقربهما من بعض مكاناً لا مكانة، هو الباطل، والضلال يحمل هذي الصفات تماما في صراعه مع الحق.

٢٤٩. أفاد تشبيه القلوب الحاملة للهدى، وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا، كقلب صغير، يسع علما قليلا"[(١)]، ويمكن القول أنه تشبيه الهدى والعلم بالسيل الذي يحدث أثراً في جغرافية

(١) تفسير السعدي ١/٤١٥.

الوادي ذاتها لقوته، وكذا العلم والإيمان يعمل عمله في تشكيل القلب وتحويله، كذلك هو (سيل) للاشارة لقوته، وأثره وليس كالماء الراكد على أهميته أو النهر الذي ليس له من القوة ما للسيل.

٢٥٠. فيها: حث على تعلم الصنعة؛ لقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ (الحدادة وصهر المعادن والذهب). وقول الله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الأنبياء: [٨٠].

٢٥١. فيها: إشارة إلى: الدعوة إلى الله والصدع بالحق، ونشره؛ فكما أن الصهر يذهب خبث المعدن، فكذا الحق، ومناداته للقلوب.

٢٥٢. يفيد: العدول عن ذكر اسم الذهب، والفضة إعراضاً يؤذن بقلة الاكتراث بهما ترفعاً عن ولع الناس بهما فإن اسميهما قد اقترنا بالتعظيم في عرف الناس.

٢٥٣. تفيد: الآية ما علم من أن الزبد مثل للباطل، وأن الماء مثل للحق، فارتقى عند ذلك إلى ما في المثلين من صفتي البقاء، والزوال ليتوصل بذلك إلى البشارة، والنذارة لأهل الحق وأهل الباطل بأن الفريق الأول هو الباقي الدائم، وأن الفريق الثاني زائل بائد"[(١)].

٢٥٤. تكرر ضربه تعالى للأمثال المائية، والنارية في الموضع الواحد رغم تناقض الأصلين، ولا يخفى ما في ذلك من البلاغة، كالامثال في سورة البقرة النور، ومثله نجده في الحديث النبوي.

٢٥٥. الباطل هو المستكبر والمرفّه كثير الصوت، كثير الأقوال لكنّه فارغ من المحتوى، أما الحق فمتواضع قليل الصوت، وكبير المعنى، وثقيل الوزن"[(٢)].

٢٥٦. الحق يعتمد على ذاته دائما، أما الباطل فيستمدّ اعتباره من الحق، ويسعى للتلبس به، كما أنّ الكذب يتلبس بضياء الصدق، ولو فقد الكلام الصادق من العالم لما كان هناك من يصدق الكذب، ولو فقدت البضاعة السليمة من العالم لما وجد من يخدع ببضاعة مغشوشة، وعلى هذا فوجود الباطل راجع إلى شعاعه الخاطف، واعتباره المؤقّت الذي سرقه من الحق، أما الحق فهو مستند إلى نفسه واعتباره منه.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١٢٠.

(٢) موقع نداء الإيمان.

٢٥٧. أفاد تقديم المسند على المسند إليه في هذه الجملة ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ الاهتمام بالمسند، لأنه موضع اعتبار أيضاً ببديع صنع الله تعالى إذ جعل الزبد يطفو على أرق الأجسام، وهو الماء وعلى أغلظها، وهو المعدن فهو ناموس من نواميس الخلقة، فبالتقديم يقع تشويق السامع إلى ترقب المسند إليه"(١).

٢٥٨. يشير قوله تعالى: ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الإشارة إلى ثبات الحق، وإقامته بعد تمكنه، ونبذ خبث الضلال، وبقدر مكوثه، وثباته بقدر تحقيق انتفاع صاحبه به.

٢٥٩. فكما أن الماء عصب الحياة، وتتوقف عليه حياة الأبدان كذلك تتوقف حياة القلوب بالتزام الهدي الرباني ومتابعة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام الحق باق وإن قل اتباعه، والباطل زاهق وإن كثر اتباعه وعلا سلطانه.

٢٦٠. من فوائد ضرب الأمثال تقريب المفاهيم إلى الأذهان.

٢٦١. في ضرب الأمثال تقرير الأحكام الشرعية بالأحداث الكونية.

٢٦٢. فيها: صحة القاعدة فيما يحتج به على القياس حيث إن جميع الأمثال الواردة في الكتاب والسنة دليل على القياس لما فيها من اعتبار الشيء بنظيره، وعليه توجب الاعتناء في المناهج على تعدد الأمثلة لتتناسب واختلاف بيئات الطلاب ومستوياتهم وقدراتهم.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الرعد: [١٨].

٢٦٣. فيها مناسبة لما قبلها؛ فلما بين تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه"(٢).

٢٦٤. فيها: الاستجابة لله قبل الموت، وأنه لا يدفع العذاب إلا بالاستجابة إليه – سبحانه؛ وتصديقه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ الشورى: [٤٧].

٢٦٥. فيها: أن الاستجابة لله سبحانه، وتعالى سبب في دخول الجنة.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١١٩.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٤١٦.

٢٦٦. خاطبهم بربوبيته ﴿لِرَبِّهِمُ﴾ تودداً وتذكيراً بمنته عليهم؛ وتحفيزاً لهم للاستجابة ولزوم طاعته.

٢٦٧. فيها: بيان نتيجة من استجاب لله.

٢٦٨. تفيد: صحة تقسيم الأمة إلى أمة إجابة، وأمة دعوة، دل على هذا الاستدلال مجموع الآية والحديث" والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني"(١).

٢٦٩. تشير إلى: يسر الإيمان بالله، وأنه في مقدور الناس؛ فالله ما سأل عباده إلا أمراً يسيرا هينا؛ وتصديقه، ما رواه مسلم: "يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك.."(٢) وفي لفظ للبخاري: "فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم"(٣).

٢٧٠. فيها دلالة على أن الإنسان في حال الاختيار قد طُلب منه أقل القليل، ولو شق تمرة، أو مثقال ذرة ليراها وهو أحوج ما يكون إليها، فيفوت هذا وهو في حال الاختيار، والامكان، ليقع في أن يقدم ما في الأرض جميعاً، ومثله معه ليقبل منه ولكن هيهات.

٢٧١. تفيد: أن القرآن مثاني، تثنى فيه المعاني الشرعية، والخبرية، فإذا ذكر شيئاً ذكر ما يقابله، حتى يصير العبد بين الخوف، والرجاء.

٢٧٢. فيها: هول ما يصيب المعرض يوم القيامة.

٢٧٣. فيها: الزهد فيما يكون سبباً في عذاب الله؛ مهما عظم وثمن؛ لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾.

٢٧٤. فيها: التهويل من عظم يوم القيامة.

٢٧٥. فيها إثبات الحساب، والجزاء والإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر.

٢٧٦. الإشارة إليهم بإشارة البعيد أولئك يدل على بعدهم في الشقاء والعذاب، والضلال، والخسران.

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٣٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٤/١٣٣، ومسلم ٤/٢١٦٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الرعد: [١٩].

٢٧٧. فيها: أن أعظم منة يمتن الله بها على عباده العلم.

٢٧٨. فيها: أن المسلم، يسلم ويستجيب لكل ما ينزله الله؛ لدلالة المضارع في قوله ﴿يَعْلَمُ﴾، ولم يقل "علم – مثلا"؛ وتصديقه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ محمد: [٢٠]. وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة: [١٢٧].

٢٧٩. فيها أن العلم حراسة، وسياج على عقل صاحبه.

٢٨٠. تفيد: فضل العلم، وشرف أهله؛ وذلك بنفي المساواة بين أهل العلم، وبين أهل العمى.

٢٨١. في الآية الكريمة الإشادة بفضل العلم، وما يترتب على ذلك من الخير العظيم، والأجر الجزيل، والذكر الجميل، والعاقبة الحميدة لمن أصلح الله نيته، ومن عليه بالتوفيق.

٢٨٢. تفيد: بأن من لا يعلم أنه الحق أن ذلك إنما جاءه من قبل عماه، ومعلوم أن عدم رؤية الأعمى للشمس لا ينافي وجودها: قال الشاعر لله دره وعليه أجره:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر.

٢٨٣. تهدي إلى: أن علم نزول القرآن، وعلم ما اشتمل عليه من البينات يهدي إلى الحق

٢٨٤. فيها: إثبات علو الله على خلقه ﴿۞ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ فله سبحانه علو الذات، وعلو الصفات.

٢٨٥. فيها: أن القرآن الكريم منزل من عند الله عز وجل، تكلم به سبحانه بحرف، وصوت.

٢٨٦. فيها إثبات رسالة النبي ﷺ بإنزال الوحي إليه، وتكريمه بخطاب الله تعالى له، وربوبيته له ربوبية خاصة، لقوله تعالى ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

٢٨٧. فيها عظم شأن الكتاب العزيز، وأنه ينبغي للمسلم أن يعنى به، وأن يعيش حياته معه قراءة، وتدبراً، ومدارسة، وعملاً، وتطبيقاً.

٢٨٨. في التنزيل إحسان من الله ورعاية لأمر خلقه ﴿رَّبِّكَ﴾.

٢٨٩. شرف النبي ﷺ، وعلو منزلته، وعناية الله تعالى به؛ كما تشعر به الإضافة في قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

٢٩٠. تهدي إلى: أن التفريق بين المتماثلات، والتسوية بين المختلفات من مسائل العلم.

٢٩١. فيها: النظر في عواقب الأمم السابقة، وأخذ الذكرى، والتفكر.

٢٩٢. في الآية الكريمة تعريض، إذ ليس الغرض أن يعلم السامع ظاهر معناها، لأنه معلوم، إنما الغرض التعريض بالكفار الذين لم يعملوا عقولهم في فهو في حكم من لا عقل له.

٢٩٣. تهدي إلى: علاقة التذكر بذوي الألباب، فهناك تناسب طردي، وعكسي، يقضي بأن روح التذكر لأي أمر قد ينسى، أن يكون هناك لب، وقلب حاضر، والعكس بالعكس

٢٩٤. ختم الآية بقوله ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لأن المسألة تتطلب الاستذكار والفهم والمعرفة، وتختم بعض الآيات بقوله ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لأن المسألة المرادة في الآية تتطلب النظر والمشاهدة والفكر.

٢٩٥. فيها: الحث على التعقل، والعلم، والثناء على أولي الألباب.

٢٩٦. فيها: أن من علامات كمال العقل التذكر والاتعاظ.

٢٩٧. في الآية الكريمة من أوجه اللغة الإشارة إلى نوع مما يلحق بجمع المذكر السالم﴿أُوْلُواْ﴾ لأنها ليس لها مفرد من نوعها.

٢٩٨. فيها: أنه إنما يتذكر بما أنزل الله أصحاب العقول السليمة التي تهدي أصحابها إلى الاتعاظ بما أنزل الله ومعرفة الحق واتباعه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٢٩٩. فيها: من المناسبة، أنه سبحانه لما ذكر العلم في الآية السابقة ذكر هنا العمل، وهو ثمرة العلم؛ لأنه قال قبلها: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾، ثم قال هنا ونعتهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ عام؛ مع الله أو مع غيره.

٣٠٠. فيها: الاهتمام، والقيام، والمداومة على إيفاء العهود؛ لقوله: ﴿يُوفُونَ﴾مضارع؛ كما قال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾الإنسان: [٧]، فهم دائموا الوفاء، والخوف.

٣٠١. شرف الوفاء بالعهد؛ ذلك أن الله تعالى أضاف العهد إلى ذاته سبحانه للتشريف والتعظيم وللتحريض على الوفاء به.

٣٠٢. فيها: تعظيم العهود ووجوب الوفاء بها.

٣٠٣. فيها عظم منزلة الوفاء بعهد الله وأنها أمارة اليقين بالله وما أنزله من الحق، وكذلك أظهر خصائص أولي الألباب المتذكرين.

٣٠٤. تفيد: الآية وجوب الوفاء بجميع الشروط التي يشترطها أحد المتعاقدين، ولا يجوز الإخلال بها، لأن القاعدة في ذلك أن الوفاء بالعهد والميثاق يتضمن الوفاء بأصله، ووصفه، ومن وصفه الشرط فيه.

٣٠٥. اشتملت الآية على صيغة من صيغ العموم، وهي" النكرة المضافة إلى معرفة فإنها تعم، وذلك في قوله تعالى﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾فيشمل العهد الذي بين الناس، وبين خالقهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾الرعد: [٢١].

٣٠٦. في الآية الكريمة الحث على الاستمرار على صلة الأرحام مهما كانت الأسباب، دل على ذلك مجيء الفعل المضارع في قوله﴿يَصِلُونَ﴾.

٣٠٧. تفيد: الآية الكريمة أنه من سوء الخصال، أن يستخف أحد بالقريب ما دام أنه على خير، ويؤمن غوائله، ويصرف بره ووده إلى الأباعد ليستكف شرهم أو ليذكر في الناس بالذكر الحسن.

٣٠٨. تفيد: أهمية الدوام والاستمرار على العبادات؛ دل على ذلك مجيء الأفعال كلها بصيغة المضارع؛ ﴿يَصِلُونَ﴾.. ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾.. ﴿وَيَخَافُونَ﴾.

٣٠٩. فيها إرشاد إلى الإخلاص لأنهم إنما يوفون "بعهد الله" و"يصلون ما أمر الله به أن يوصل" " ابتغاء وجه ربهم"

٣١٠. تفيدَ: رعاية َما أَوجبه الله من حقوق العباد.

٣١١. فيها أنّ من تعظيم الله تعظيم أمر الله، وطاعته، فإذا عظم الآمر، سهلت الأوامر.

٣١٢. فيها تعظيم أوامر الله تعالى، والعناية بها وطاعتها خصوصا ما أمر الله به أن يوصل.

٣١٣. اهتمام الشريعة بصلة الأرحام، والإحسان إليها، ورتبت على ذلك الأجر العظيم.

٣١٤. فيها: تعظيم الشريعة للصلة، وبغضها للقطيعة؛ فليتق الله من تخاصموا، وتقاطعوا، وتدابروا من أجل حطام الدنيا.

٣١٥. في الآية الكريمة دقة الألفاظ القرآنية، حيث جاءت الخشية من الله تعالى، وجاء الخوف من سوء الحساب؛ وذلك لأن الخشية إنما تكون من عظمة من تخشاه، أما الخوف إنما يكون من ضعف الخائف؛ ولذا يكون أحيانا الخوف من أمر حقير في نفسه، لكن الخائف أضعف منه، ولذا لا يؤاخذ العبد على الخوف الطبيعي، وهذا من رحمة الله تعالى، إونما يؤاخذ على خوف السر، وهو الخوف من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته.

٣١٦. فيها إثبات لعبادة من العبادات القلبية وهي الخشية؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وهي خوف مع تعظيم لله تعالى.

٣١٧. تفيد: أن السبب الذي يحمل العبد على وصل ما أمر الله به أن يوصل هو خشية الله تعالى، والخوف من يوم الحساب.

٣١٨. فيها: أهمية العمل، وأنه سبب في خشية الله؛ ألا تراه.

٣١٩. فيها: ملازمة الخشية، والخوف من الله؛ لقوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾، وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ﴾.

٣٢٠. فيها: أن صلة الرحم، من علامات الخوف من الله.

٣٢١. فيها: دليل على أن صلة الرحم لها تأثير في تخفيف الحساب يوم القيامة، وألا لم يكن في ذكرها فائدة، وكلام الله ينزه عن ذكر ما لا فائدة ولا تأثير له.

٣٢٢. فيها إثبات الحساب وأن منه الحساب اليسير ومنه سوء الحساب.

٣٢٣. فيها: أن المؤمن الصادق يتفكر في عواقب الأمور؛ لأنه يخاف سوء الحساب.

٣٢٤. فيها إثبات المعاد؛ لقوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

٣٢٥. فيها مدح لمن اتصف بهذه الصفات حيث جمعوا بين العمل، والخوف من الله عز وجل.

٣٢٦. فيها: الفرق بين الخشية، والخوف، حيث إن الخشية خوف مقرون بعلم، دون الخوف المجرد، ولذلك جاءت الآية الكريمة مبينة أن الخشية في جانبه سبحانه، والخوف في جانب الحساب.

٣٢٧. تفيد: الآية مع ما بعدها من الآيات أن الوفاء بالعهد من أسباب دخول الجنة لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾الرعد: [٢٢].

٣٢٨. مناسبة الآية لسابقتها، أن فيها الصبر على الأقارب والأرحام. وأن الصلة، تحتاج إلى الصبر على الأذى. وبقرينة قوله ﴿لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

٣٢٩. فيها: أهمية الصبر بأنواعه الثلاث.

٣٣٠. وفيها أنه: لا شيء يعين على الصبر على طاعة الله أعظم من إخلاص النية فإن العبد إذا جعل رضى الله نصب عينيه هانت عليه الدنيا بما فيها.

٣٣١. فيها: الصلاة مما يعين على الصبر.

٣٣٢. تفيد: العلاقة الوطيدة بين الصلاة، والأخلاق في نصوص الكتاب.

٣٣٣. في هذه الآية الاقتران بين الصبر والصلاة، وقال في الشورى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما يقرن بتركها والأخلاق الذميمة كما في آية مريم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾.

٣٣٤. فيها: بيان الإخلاص في الصبر المبرأ من شوائب الرياء، وحظوظ النفوس.

٣٣٥. تفيد: أن " الإنسان اجتماعي بطبعه كما ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾وقوله ﴿وَأَقَامُواْ﴾وقوله ﴿وَأَنفَقُواْ﴾وقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾.

٣٣٦. فيها الترغيب في أن يعم الخير وتبرز شعائر الدين، ويظهر الصلاح في المجتمع، وفي ذلك أمنة من عذاب الله، وعقابه.

٣٣٧. في الآية الإشارة إلى أن صورة العمل في عملين مثلا قد تكون واحدة ويكون الفرق بين العاملين كما بين السماء، والأرض، فهنا بين عز وجل أن صبرهم ليس عن عجز، وعدم قدرة من الأخذ بحقهم إنما الباعث عليه ابتغاء وجه الله فالواجب معالجة النيات، لأن عليها مدار القبول والرد.

٣٣٨. تفيد: أن الزكاة، قرينة الصلاة؛ لقوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾.

٣٣٩. فيها: مشروعية الجهر بالإنفاق؛ طالما ابتغي به وجه الله.

٣٤٠. ومنها: المؤمن الفطن يدرك متى يسر بصدقته، ومتى يعلنها.

٣٤١. تقديم السر على العلانية في الصدقات يدل على أنها أفضل وأولى؛ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾ البقرة: [٢٧١].

٣٤٢. فيها: أن الصفح عن عثرات الضعاف من شيم الأشراف.

٣٤٣. فيها: العمل الصالح يدفع السيئات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الرعد: [٢٣-٢٤].

٣٤٤. فيها: بالصبر ينال النعيم.

٣٤٥. في قصر دخول الجنة على الصبر دون ذكر غيره من الأعمال الصالحة بيان أن جميع الأعمال تحتاج إلى صبر.

٣٤٦. ومنها: خلق الله الدنيا مليئة بالمنغصات لنتوق للجنة.

٣٤٧. فيها: للجنة أسماء مختلفة، وبالتالي أوصاف مختلفة.

٣٤٨. فيها: كرم الله سبحانه بحسن الجزاء.

٣٤٩. فيها: أن المعيار الحقيقي هو التقوى، والصلاح، وليس النسب.

٣٥٠. فيها أن العبرة بالصلاح فلا معنى للقرابات إن لم تكن في الله، ولله.

٣٥١. فيها: أن الصلاح من أسباب دخول الجنة.

٣٥٢. فيها: تنبيه إلى إصلاح الأهل والأولاد، والحرص على هدايتهم.

٣٥٣. من هدايات الآية بذل الوسع في تربية الأبناء.

٣٥٤. تبين الآية: أن العلاقة في الآخرة تتوقف علي الصلاح والإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ الطور: [٢١].

٣٥٥. الآية تعالج النفس البشرية بالاجتماع بعد الفرقة، فطبيعة النفس البشرية تفرح بالاجتماع، وتحزن بالفراق، لا سيما إذا كان الاجتماع بالأهل، والأقارب.

٣٥٦. فيها: دلالة على أن الدرجة تعلو بالشفاعة.

٣٥٧. فيها: أن هناك ملائكة موكلين بتحية أهل الجنة.

٣٥٨. فيها: مشروعية السلام، وأنه تحية أهل الجنة.

٣٥٩. فيها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾بشارة باستمرار السلامة واستمرار النعيم.

٣٦٠. تنكير ﴿سَلَٰمٌ﴾وتنوينه يفيد: أنه سلام عظيم.

٣٦١. فيها: عظم الحفاوة التي يتمتع بها أهل الجنة، حيث إن ملائكة الله جل وعلا، يدخلون عليهم من كل باب مهنئين بما آلوا إليه من النعيم، والرضوان.

٣٦٢. في الآية من أوجه اللغة اقتران ما المصدرية بالحرف المفرد قبلها وهذه الآية مثال لذلك، وهو اقترانها بحرف الباء، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾أي: بصبركم، مثال ثان اقترانها بالكاف كما في قوله:﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾.

٣٦٣. فيها أن العاقبة متى أطلقت فهي للخير؛ كقوله تعالى ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾الأعراف: [١٢٨]، ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾فإذا قيدت فهي لما قيدت به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾الرعد: [٢٥].

٣٦٤. فيها مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر تعالى السعداء الذين يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أنْ يوصل، ذكر الأشقياء الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، وهي عامة في الرحم، وغيرها من أمور الدين، ويفسدون في الأرض بالمعاصي أولئك لهم اللعنة، ولهم سوء الدار.

٣٦٥. تفيد: أن من أفسد في مكان فكأنما أفسد في الأرض كلها.

٣٦٦. تفيد: مع ما قبلها أن من ذكروا في هذه الآية ليسوا من أولى الألباب، وإن ادعوا أن لهم عقولاً وفهوماً تدرك الأشياء، وتعرف المصالح، والمفاسد.

٣٦٧. تفيد: براعة العبارة، وقوة المعني، ودقة البلاغة، والفصاحة، والبيان في الآيات القرآنية، وخصوصا في مجال الاطناب، والإيجار، حيث إن هذه الآية الواحدة اختصرت اختصارا بليغا وأوجزت إيجازا رائعا لما يقابلها من الآيات المتقدمة في ضدهم التي حصل فيها الإطناب، والتوسع.

٣٦٨. تفيد: بلاغة القرآن عظمة المعاني التي تدل عليها كل آية منه، فكل جملة من هذه الآية تحمل من المعاني ما يمكن أن يؤلف فيها كتاباً كاملاً.

٣٦٩. تحريم نقض العهود، وأنها لازمة من بعد توثيقها.

٣٧٠. فيها جواز استعمال النقض في إبطال العهد، وذلك من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة، ولطائفها أن يسكنوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، فقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر"[(١)].

٣٧١. تفيد: الآية الكريمة: أهمية الالتزام، والعمل بميثاق الله تعالى.

٣٧٢. تفيد: عظمة العهد الذي يقطعه العبد بينه، وبين الله تعالى، أو يجعل الله عليه شهيدا، وكفيلا ثم ينقصه فقد فعل جرما عظيما، وارتكب إثما مبيناً.

٣٧٣. تفيد: أهمية ومكانة التوحيد فهو أعظم عهد أخذه على ذرية آدم، وهو أولى ما يرعى منهم.

٣٧٤. تفيد: تعظيم هذا العهد لأنه أضيف إلى الله عز وجل.

٣٧٥. ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾قد نقضوا عمدا، دل ذلك على أن أهل الباطل يسعون في تحقيق باطلهم، وشرعنة فسادهم، وقطع صلتهم بالله تعالى.

٣٧٦. تفيد: أن مخالفة الأوامر الربانية يقود إلى فعل النواهي وارتكاب المحرمات، ﴿وَيَقْطَعُونَ﴾ فهم خالفوا فعصوا.

٣٧٧. يفهم من الآية أهمية الصلة، ووجوبها، وأنها من أسباب صلاح الأرض، ونيل الرضا من الله.

٣٧٨. تفيد: أن هذه الصفات التي ذكرت في الآية أنها من كبائر الذنوب، لترتب اللعنة على فاعلها على قاعدة شيخ الإسلام أن الكبائر محدودة، وليست معدودة.

٣٧٩. في الآية: اعتبار الأسباب، وأنها مؤثرة، بما أودعه الله فيها من تأثير، فقد جعل الله عز وجل نقض العهد، والقطيعة، والفساد في الأرض من أسباب اللعنة.

---

(١) تفسير الكشاف ١٤٩/١.

٣٨٠. تفيد: تناوب حروف المعاني، فقد قيل اللام في قوله تعالى﴿لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾أي عليهم، يقابله أنها على بابها، فتكون للاستحقاق، أي: صار عليه السخط باستحقاقه له، فتكون أبلغ من " على"

٣٨١. فيها استحقاق لعنة الله على المفسدين في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

٣٨٢. الإشارة إليهم بإشارة البعيد أولئك تدل على بعدهم في الشقاء، والعذاب والضلال.

٣٨٣. فيها: التحذير من قطيعة الرحم فهي سبب للعنة الله، وعقابه.

٣٨٤. فيها: الدمار، والهلاك، وسوء الأحوال بسبب شؤم معصية بني آدم.

٣٨٥. تفيد: التنفير من مخالفة أوامر الله، والتشنيع على المفسدين في الأرض.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾الرعد: [٢٦-٢٧].

٣٨٦. مناسبة الآية الثانية لما قبلها أنه سبحانه لما بين في الآية السابقة أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، بين في هذه الآية أن الرزق ليس شرطا أن يكون هو ما يتبادر إلى ذهن الكثير، وأنه المآكل، والمشارب، بل الهداية هي أفضل أنواع الرزق على الاطلاق.

٣٨٧. في الآية تقديم ما حقه التأخير، وذلك لإفادة الحصر، أن الله لا غيره هو من يبسط الرزق، كما جاء أيضا في سورة العنكبوت ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾.

٣٨٨. تفيد: تعليق الرزق، وتفصيلاته بمشيئة الله تعالى.

٣٨٩. فيها: أنه – تعالى – "كل يوم هو في شأن"؛ لقوله: ﴿يَبۡسُطُ﴾، وقوله ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾.

٣٩٠. وفيها: دليل على أن: "يد الله ملأ، سحاء الله والنهار، لاتغيضها نفقة؛ أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده"(١).

٣٩١. تعلم الآية المسلم: منهجا واضحا وهو أن لا يعلق قلبه إلا بالله. فالأرزاق كلها قليلها وكثيرها من الله وحده سبحانه وتعالى، فالله ضمن الأرزاق لكل فرد من خلقه، فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها.

(١) أخرجه البخاري ١٢٢/٩، ومسلم ٦٩٠/٢.

٣٩٢. فيها: أن الأمر أمر الله لا راد لأمره، ولا معقب لحكمة يعطي، ويمنع، ويبسط ويقدر؛ يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، عطاؤه في كل الأحوال ليس دليلاً على الرضا، ومنعه في كل الأحوال ليس دليلاً على المقت، وفي كل الأحوال عطاؤه، ومنعه، وبسطه، وقدره، فتنة، واختبار، وامتحان.

٣٩٣. فيها: تعدد أنواع الأرزاق، وتعدد أصناف الحرمان فإذا جاءك رزقك فابتسم، وإذا ذهب رزقك فابتسم -إن استطعت-، فكلاهما من عطاء الله فالسعيد من رزق الرضا في كلا الحالين، والمحروم من حرم الرزق، وحرم الرضا، فإذا ذهب الرزق منك فلا يذهبن منك الرضا فإنه من أمتع الرزق، وأغناه.

٣٩٤. فيها: أن الرزق بيد الله ولا علاقة له بالإيمان والكفر.

٣٩٥. فيها: أن الغنى، والفقر ابتلاء، ولا يدل على المحبة، والبغض منه سبحانه.

٣٩٦. فيها إشارة إلى كرم الله، ورحمته بعباده، حيث إنه سبحانه وتعالى جعل مسألة الرزق بيده تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾، ولم يجعل لأي أحد من خلقه سبيل، ولا سلطة في ذلك. يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾ الإسراء: [١٠٠].

٣٩٧. وفيها: دليل على أن الفرح بالدنيا حرام"(١).

٣٩٨. تفيد: واو الجماعة في قوله تعالى ﴿وَفَرِحُواْ﴾ بأن الكثرة الكاثرة من البشر قدموا العاجلة على الآجلة، واستبشروا بالقليل الفاني، وتركوا الكثير الباقي.

٣٩٩. فيها: أن الفرح يختلف حجمه بمقدار ديمومته، ففرح الإنسان بما عنده في الدنيا يعترضه الخوف من صوادفه، كما يقول أبوالطيب:

أشد الغم عندي في سرور تيقن صاحبه عنه انتقالا

بخلاف فرح الآخرة فلا يطرأ عليه تحول بحال.

٤٠٠. فيها أن الفرح بالدنيا من آثار الغفلة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ الأنعام: [٤٤].

---

(١) تفسير البغوي ٣/٢٠.

٤٠١. فيها: ذم الذين يقدمون العاجلة الفانية على الآخرة الباقية، فلو كانت الدنيا من ذهب فان والآخرة من خزف باق، فإن العاقل يقدم الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والآخرة من ذهب باق، والدنيا هي التي من الخزف الفاني.

٤٠٢. فيها: أن ما فات من الدنيا ومتاعها في جانب ما يعطاه العبد يسير حقير كما قال ابن القيم رحمه الله في النونية:

لكن أدناهم وما فيهم دني — إذ ليس في الجنات من نقصان
فهو الذي تلفى مسافة ملكه — بسنيننا ألفان كاملتان
فيرى بها أقصاه حقا مثل رؤ — يته لأدناه القريب الداني
أو ما سمعت بأن آخر أهلها — يعطيه رب العرش ذو الغفران
أضعاف دنيانا جميعا عشر أمـ — ـثال لها سبحان ذي الإحسان

فكيف بما يؤتاه أهل الدرجات العلا، مما لم تره العيون، ولم تسمعه الآذان، ولم يخطر على قلب بشر كما قال رحمه الله:

هذا وأعلاهم فناظر ربه — في كل يوم وقته الطرفان.

٤٠٣. فيها: أن الأرزاق متاع ومتعة، وقد يكون من المتعة في الآخرة المنع من المتاع في الدنيا.

٤٠٤. فيها التزهيد في الدنيا من اسمها الدنيا، ومن وصفها أنها متاع قليل.

٤٠٥. تفيد: أن متاع الآخرة، هو المتاع الحق الدائم؛ لوصفه الدنيا بأنها ﴿مَتَٰعٌ﴾.

٤٠٦. صلة الموصول تفيد: أن الكفر سبب للتعنت، والعناد واقتراح الآيات.

٤٠٧. فيها: دلالة أن سؤالهم الآيات من باب السخرية لا الإيمان بها.

٤٠٨. تفيد: " أنَّ الآيات التي يقترِحها الكُفَّار ليؤمِنوا؛ لا تُوجِب هدايةً، وإنَّما اللهُ هو الذي يهدي ويُضلُّ "[١].

٤٠٩. فيهَا: تعجب من حال من يزعم أن القرآن مخلوق؛ فإن المشركين قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وأضافوا التنزيل إليه سبحانه.

(١) مدارج السالكين ٣/٤٣٨.

٤١٠. فيها: عناية الله بنبيه ﷺ حيث، لقنه الإجابة، على الاقتراح الذي اقترحه الكفار، مبينا أن ذلك لا يوجب هداية بل إن الهداية والضلال بيد الله تعالى.

٤١١. فيها: أن الهداية، والضلال من الله تعالى، فإنه يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو، سعيد.

٤١٢. فيها: الأخذ بأسباب الهداية؛ لقوله: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾، وعليه:

٤١٣. فيها: رد على الجبرية.

٤١٤. فيها مراعاة الحال في الخطاب الدعوي، وبلاغة القرآن الكريم؛ فلما كان الخطاب للكفار قدم الإضلال في الآية الكريمة.

٤١٥. فيها فضل الإنابة وأنها من أسباب الهداية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ الرعد: [٢٨].

٤١٦. فيها: الزيادة على الإيمان؛ وهو العمل؛ لأنه – تعالى – ذكر إيمانهم به، واطمئنان قلوبهم بذكره.

٤١٧. فيها اهتمام الاسلام براحة أصحابه، ومعتنقيه، ونعيمهم، وراحتهم في الدنيا قبل الاخرة.

٤١٨. في الآية الكريمة فضل العلم، والعلماء؛ لأنه أعلى مراتب الذكر على الاطلاق.

٤١٩. الباء في ﴿بِذِكۡرِ﴾ للمصاحبة، فينبغي أن يكون ديدن المؤمن الذكر.

٤٢٠. فيها علاج لكل من أثقلته الهموم، وتشعبت به الدروب، وطار من عينيه النوم، فالجأ إلى الله بدلاً من البحث عن مسكنات محرمة أو لا فائدة من ورائها.

٤٢١. فيها: أن الذكر يزيل قسوة القلوب.

٤٢٢. وفيها الحث على ملازمة الأذكار الواردة في السنة لما لها من أثر في اطمئنان الانسان في يومه كأذكار الصباح، والمساء.

٤٢٣. وفيها: أن باب فضائل ذكر الله واسع حفظ، وقرب، وطمأنينة، ورزق، وأنس، ومغفرة، والعاجز من عجز عن هذه العبادة العظيمة.

٤٢٤. فيها: أنه حقيق به وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنّه لا شيء ألذُّ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبَّتها له يكون ذِكْرُها له"[(١)].

٤٢٥. فيها: أن ذكر الله تعالى طمأنينة للنفس، وأمان لها، مما يقوي جانبها في تحسين أخلاقها.

٤٢٦. فيها: فضل ذكر الله تعالى وأنه كما قال ابن عون، قال: ذكر الناس داء، وذكر الله دواء. قال الذهبي: إي والله، فالعجب منا ومن جهلنا؛ كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله"[(٢)].

٤٢٧. فيها: أن النفس المؤمنة تطمئن بصلتها بالله عز وجل، والأنس به، والإحساس بكريم لطفه، وعظيم أمانه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ الرعد: [٢٩].

٤٢٨. فيها من المناسبة، أنه سبحانه لما بين أنه يهدي إليه من أناب، بين هنا من هو المنيب الذي يستحق الهداية.

٤٢٩. فيها رد على الجبرية الذين يقولون أن مجرد المعرفة كافية في دخول الجنة، ذكر ابن القيم مذاهبهم وما يلزم على قولهم حيث قال:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ ... خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أغلى أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران

(١) تفسير السعدي ١/ ٤١٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧.

واسأل كذاك أمام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الـ ـرب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر هم عند جهم كاملوا الإيمان

٤٣٠. في: جمع الصالحات يدل على كثرتها، وتنوعها، وأن أبواب الخير كثيرة.

٤٣١. تفيد: أن طيب الحياة إنما تكون في اطمئنان القلب.

٤٣٢. تفيد: الآية حاجة الإنسان للمدح، والتحفيز للمضي قدماً في عمله الذي مدح فيه.

٤٣٣. فيها: الربط بين الإنجاز، والمكافأة تنويهاً بمن قام به، وحثاً لمن مازال خارج هذا النطاق للحاق بمن سبق.

٤٣٤. فيها: العاقبة الحسنة لأهل الإيمان.

٤٣٥. فيها: التوافق التام ما بين الآية الكريمة والحديث الشريف " طوبى للغرباء" وجه ذلك خير القرون كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، وكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين، وتمسكوا به، وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن كانوا أيضا عند ذلك غرباء، فبشرهم الله جميعا بهذا الخبر الذي لا يخلف من الله جل وعلا.

٤٣٦. فيها: الإيمان، والأعمال الصالحة هما سببا الحياة الطيبة في الدارين.

٤٣٧. فيها: الإيمان الصحيح هو الإيمان المقرون المصحوب بالعمل الصالح، أما الإيمان بدون عمل صالح، فيعتبر غير واقعي وغير عملي، كما أن العمل الصالح بدون إيمان لا أجر عليه ولا ثواب، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم في كثير من السور ومنها سورة العصر. كما تؤكد عليه أحاديث الرسول ﷺ، ومنها قوله:(الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل).

٤٣٨. فيها: الاقتران المطرد في القرآن الكريم بين الإيمان، والعمل الصالح، فهي من باب عطف الخاص على العام لغرض الاهتمام به.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ الرعد: [٣٠].

٤٣٩. فيها رحمة الله تعالى بخلقه، وعنايته بهم في تتابع الرسالات، والنبوات.

٤٤٠. تفيد: سنه الله بإرسال الرسل في الأمم السابقة فضلاً منه ورحمة وإعذاراً.

٤٤١. إثبات رتبة الرسالة لنبينا مُحَمَّد ﷺ.

٤٤٢. مهمة النبي ﷺ تبليغ كلام الله، ورسالته.

٤٤٣. فيها الأمر بتلاوة القرآن على المدعوين، واسماعهم إياه.

٤٤٤. فيها: أن "ما على الرسول إلا البلاغ"؛ لقوله: ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ﴾.

٤٤٥. فيها: أمانة التبليغ عن الله؛ لقوله ﴿أَوْحَيْنَآ﴾﴿لِّتَتْلُوَاْ﴾.

٤٤٦. فيها أن تبليغ القرآن الكريم، وتلاوته على الناس من أعظم أبواب الدعوة.

٤٤٧. تفيد: إلزام المعطلة النافين لصفة الكلام، فيلزمهم نفي الرسالة إذ حقيقة الرسالة تبليغ كلام المرسل فإذا انتفت صفة الكلام لزم نفي الرسالة كما عقد هذا الإلزام ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية:

وإذا انتفت صفة الكلام كذلك ... إرسال منفي بلا فرقان

الـ ... المرسل الداعي بلا نقصان

فرسالة المبعوث تبليغ كلام ... للمرسلين وأنه نوعان

وحقيقة الإرسال نفس خطابه ... وجبريل القريب الداني

نوع بغير وساطة ككلامه موسى ... إذ لا تراه ها هنا العينان

منه إليه من وراء حجابه ... طه وهو أيضا عنده ضربان

والآخر التكليم منه بالوسا ... الشورى أتى في أحسن التبيان

وحي وإرسال إليه وذاك في

٤٤٨. فيها: رد على من جحد اسم الرحمن.

٤٤٩. في الآية دليل على أن من أنكر اسما من أسمائه تعالى فإنه يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾فإذا كان هذا الإنكار في جحد اسم واحد فقط فكيف بحال الجهمية الذين جحدوا جميع صفات الله وأسمائه؟! لذلك فإن العلماء يعتبرون الجهمية النفاة المحضة الذين ينفون كل أسماء الله وصفاته كفاراً.

٤٥٠. تشير إلى: كثرة تكذيب الكفار لنبي الله مُحَمَّد – ﷺ –؛ بدليل المضارع في قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

٤٥١. أوضحت الآية الكريمة: أن نسبة القول بعدم نفي المشركين لتوحيد الأسماء، والصفات ليس على إطلاقه، فوجد فيهم من ينكرها وإن كان ذلك عنادا، ومكابرة، وإلا فهم يعلمون أنه سبحانه هو الرحمن كما وجد ذلك في كثير من أشعارهم.

٤٥٢. فيها: الصدع بالعقيدة – الصحيحة؛ لقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٤٥٣. فيها: أنواع التوحيد الثلاثة (الربوبية والألوهية والأسماء والصفات).

٤٥٤. فيها إخلاص التوكل، والتوبة لله سبحانه وتعالى دل عليه الحصر؛ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الرعد: [٣١].

٤٥٥. تفيد: جواز استعمال (لو)، ولو لها استعمالات إن قصد بها الندم على ما قضاه الله، وقدّره فلا تجوز كما في حديث (فإن لو تفتح عمل الشيطان)تكون لمجرد الخبر كقولك لصاحبك (لو زرتني لأكرمتك)، فتجوز لأنه مجرد خبر، ومنه هذا الحديث "لو تأخر الهلال لزدتكم"[(١)] ومنه قوله "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي"[(٢)] وهذا خبر ولا ندم في تمني الخير فهذا يؤجر، لأنه تمنٍ للخير، ومثله إن تمنى الشر يأثم"[(٣)].

٤٥٦. تفيد: الآية: أن الحذف هنا أبلغ من الذكر؛ ووجه ذلك، أن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان.

٤٥٧. فيها أن لله سبحانه وتعالى حكمة بالغة في إضلال من يضل.

٤٥٨. فيها تخويف الكفار، والمعرضين من قوارع تنزل بهم.

٤٥٩. تفيد ان الهداية بيد الله تعالى وحده.

٤٦٠. تفيد إثبات المشيئة الكاملة لله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري ٩٧/٩، ومسلم ٧٧٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩/٢..

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٣/ ١٢٧.

٤٦١. تفيد: أن الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه؛ لأنه لو تخلف إعطاء الموعود به لزم الكذب، والخلف، واللازم باطل فكذا الملزوم مثله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ الرعد: [٣٢].

٤٦٢. فيها تسليه للرسول عليه الصلاة، والسلام، بأن ما أصابه من استهزاء أصاب الرسل من قبله فهذه سنة الحياة، ومصير كل من عاند، وتكبر، وتجبر.

٤٦٣. فيها: أن الإنسان قد يبتلى بمن يجهل قدره، فإن الله سبحانه وتعالى يخبر أن الاستهزاء وقع على الرسل الذين هم صفوة الخلق، لرفعة درجاتهم، والاستهزاء عليهم يقع من شر البرية وكما قيل:

فمن العجائب والعجائب جمعة ... أن تسخر القرعاء بالفرعاء

والشمس لا تخفى محاسنها ... وإن غطى عليها برقع الأنواء

لكن:

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها ... والشمس تخطف أبصار الخفافيش.

٤٦٤. فيها: عظم صبر الأنبياء في تبليغ الدعوة إلى الله، ووجه ذلك أن يأتي الرسول بالمعجزات التي على مثلها يؤمن البشر، ويقابل بالتكذيب، والسخرية، والاستهزاء.

٤٦٥. فيها: أن الاستهزاء صفة ملازمة لأعداء الرسل، وأتباعهم.

٤٦٦. فيها: عظم ضلال الكافرين وخبثهم حيث استهزأوا بخير البشر، وهم الرسل.

٤٦٧. تفيد: ضرورة إعداد صاحب المهمة لمهمته، وتحضيره لما يواجهه من صعوبات، ليكون مُحضَّراً نفسياً لذلك فلا يصدم، ويتأثر عمله.

٤٦٨. تفيد: الآية أثر القدوة في حياة الإنسان، فالرسول عليه أفضل الصلاة، والسلام رغم أنه مخاطب من رب العزة إلا أنه احتاج أن يدعم بسيرة سلفه من الأنبياء عليهم السلام، فتخف عليه وطأة السخرية، والاستهزاء لما يعلم أن هذا حال من سبقه.

٤٦٩. فيها أن البلاء للرسل وأتباعهم ربما يطول ويشتد بدلالة ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾.

٤٧٠. فيها: سعة حلم الله سبحانه الذي لا يعاجل بالخطايا، فهو سبحانه غفور للمذنبين التائبين، يمهل، ويملئ من عصاه، لعله يرعوي؛ لكن له أجل معلوم إذا جاء وقته فإنه يقع، وحينئذ لا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

٤٧١. فيها عدم الاستعجال على الكفار، والمنافقين وأذنابهم؛ لأن عدم العذاب، أو نزول الهزيمة بهم تأخير من الله لحكمة يعلمها، وليوقن المسلم أنه آخذهم لا محالة.

٤٧٢. فيها: أن تأخير العقوبة نذير شؤم بهلاك عظيم كما قال الرسول ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[(١)].

٤٧٣. فيها التقليل من شأن المستهزئين لورد ذكرهم بالمجهول.

٤٧٤. فيها أن الاستهزاء بالرسول وما أرسل به كفر.

٤٧٥. في الاستفهام أسلوب بلاغي يدل على عظم العقاب، وتحقق وقوعه، وهو أسلوب خطابي بليغ يذهب بالنفس بحسب ما فيها من تصور، وتخيل.

٤٧٦. فيها أن عقوبة الله عز وجل إذا جاءت كانت شديدة ومن أعجب ما يكون، وقد ظنت عاد أن العارض مطر فكان فيه هلاكهم.

٤٧٧. تشير إلى: التأمل في عقاب الله والحذر منه؛ لقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾الرعد: [٣٣].

٤٧٨. تفيد: أن" الوجود كُلُّه قائما بالله تعالى؛ إيجادا، وإمدادا، وإعدادا"[(٢)].

٤٧٩. فيها: عدم استواء القادر على كل شيء، والعاجز.

٤٨٠. تفيد: أنّ كسب العبد كله عائد نفعه، أو ضرره على العبد وحده﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾.

٤٨١. تفيد: أن العبد له كسب، وليس مجبوراً، بل مُكتسب لأفعاله من طاعة ومعصية.

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٧٤، ومسلم ٤/١٩٩٧.

(٢)شرح العقيدة السفارينية – لابن عثيمين (١/٤١)..

٤٨٢. فيها تعظيم الرب جل وعلا؛ لأنه قائم على كل نفس، وهذا يدل على أنه المستحق للعبادة.

٤٨٣. فيها: أن لكل حقيقة دليلا فمن لا يملك الدليل ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾.

٤٨٤. فيها: استدراج الخصم للوصول إلى لازم قوله لقوله تعالى: ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ﴾ أي سموهم بالأسماء التي يستحقونها، هل هي خالقة، رازقة، محيية، مميتة، أم هي مخلوقة لا تملك ضرا ولا نفعا؟ فإذا سموها فوصفوها بما تستحقه من الصفات تبين ضلالهم، فإذا أقروا كسروا مذهبهم، وإن تمسكوا بها كفروا.

٤٨٥. فيها: قمة البلاغة القرآنية والصياغة البيانية في ترك التصريح، بذكر ما انتحلت له الصفات الربانية قسراً، وهو لا يستحق شيئاً منها، وذلك ليستكمله المخاطب، أو القارئ المتدبر بنفسه، ولعدم استحقاق شركائهم الذكر والمقارنة بالله الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ الرعد: [٣٤].

٤٨٦. فيها مناسبة لقوله: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فكأنه ذكر جواب ذلك، فيستفاد منه الترهيب من الاستهزاء بالرسل، وبما جاءوا به من الهدى.

٤٨٧. تقديم عذاب الدنيا فيه إشارة إلى أنه مهما بلغ لا يقارن بعذاب الآخرة.

٤٨٨. من صور رحمة الله سبحانه وتعالى بالخلق أنه يبتليهم بالعذاب الدنيوي ليرعوي العاصي قبل حلول العذاب الدائم غير المنقطع، كما في آية السجدة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ السجدة: [٢١].

٤٨٩. فيها: الفرق الواسع والبون الشاسع بين عذابي الدنيا، والآخرة، فألم الدنيا أخف وأقصر، وألم الآخرة أشد وأبقى وإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة، واحتمل الألم الأسهل على الأصعب.

٤٩٠. ومنها: خروج الكافر من همه، وغمه عذاب فوق عذابه فلا ظفر بأجر، ولا تنعم براحة.

٤٩١. فيها: النعي لحال كثير من الناس في كون خوفهم من عقوبة الدنيا، والفضيحة فيها عندهم أكبر من الخوف من عقوبة الآخرة، وهذه مصيبة كبيرة، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ الزمر: [٢٦].

٤٩٢. فيها التخويف من عاقبة الكفر وتفخيم العذاب المجازى به عليهح وذلك من جهات:

أولاً: تنكيره للدلالة على عظمته،.

ثانياً: إخباره بأن هذا العذاب العظيم ينتظرهم في الآخرة ما هو أشق منه.

ثالثاً: تأكيد ذلك باللام المؤذنة بالقسم "ولعذاب".

رابعاً: ومنها حذف ما أضيف إليه اسم التفضيل.

خامساً: الإخبار بتحتم إصابتهم بذلك إذ لا واقي لهم منه.

٤٩٣. فيها الإشارة لما تقدم البرهان عليه من عجز الآلهة إذ لا واقي لهم من الله كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤﴾ القصص: [٦٤].

٤٩٤. يستفاد من حذف معمول اسم الفاعل العموم؛ فلا واقي لهم من شيء من عذابي الدنيا، ولا الآخرة، ولا غير ذلك مما قضى عليهم، ويدخل فيه ما ذكره في قوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾.

٤٩٥. فيها خطر المعاصي، والكفر على الإنسان فهي سبب العذاب، والهلاك في الدنيا والاخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾الرعد: [٣٥].

٤٩٦. تفيد: الترغيب في ضرب الأمثال ليتضح المقال، ولتقريب الفهم وهي من البلاغة بمكان.

٤٩٧. تفيد: خلود الجنة، وخلود أهلها؛ لأن ذلك من لوازم دوام أكلها، وظلها.

٤٩٨. فيها أن من أبواب الدعوة ترغيب الناس في الجنة وما فيها من النعيم المقيم.

٤٩٩. فيها أن مثل الشي صفته وجزء معناه فيصح الخبر عنه كما صح الخبر عن الشي. فمثل الجنة صفتها وجزء ذاتها فوقع الخبر عنها في سياق انتظار الخبر عنه ﴿۞ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾.

٥٠٠. تفيد: عظمة نعيم الجنة التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين.

٥٠١. تفيد: كمال نعيم الجنة حيث لا ينقطع ثمارها، ونعيمها وأعظم ما في النعمة بعد كمالها دوامها.

٥٠٢. تفيد: الحث على التقوى، وبيان فضلها وثمارها.

٥٠٣. تفيد: أهمية الجمع بين الترغيب والترهيب في مخاطبة الناس بالقرآن الكريم.

٥٠٤. تفيد: أهمية بيان صفات الجنة للناس حتى يشمروا لنيل نعيمها، وبيان صفات النار حتى يتجنبوا جحيمها، وعذابها.

٥٠٥. فيها: مقابلة لما ذكر سبحانه عذاب الكفار ذكر هنا ثواب المتقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾الرعد: [٣٦].

٥٠٦. فيها: من أعلى مقامات العارفين الفرح بالله، وكتابه، ورسوله، وسنته، والإيمان.

٥٠٧. الفرح بالجلوس للقرآن، وتأمل آياته والتفكر فيها من أولى علامات التوفيق الرباني.

٥٠٨. ومنها: الفرح الذي يعقب الطاعات، ومواسمها دليل على سعة الإسلام.

٥٠٩. اشتملت الآية الكريمة على أعلى أنواع الحصر، وذلك من وجوه: النفي، والإثبات وتقديم ما حقه التأخير.

٥١٠. في الآية الكريمة: عظم شأن التوحيد، وهي الكلمة التي تواردت عليها وصية الله لأنبيائه ورسله، ووصى بها الانبياء، أقوامهم فقد مر قريبا في سورة يوسف ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾وقال تعالى لنبيه مُحَمَّد ﷺ في هذه السورة: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾. ومن أجل ذلك كان كل رسول يفتتح دعوته بقوله لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾.

٥١١. قوله تعالى:﴿وَلَآ أُشۡرِكَ﴾يدل على نفي الشركاء والأنداد.

٥١٢. فيها: أنه قد يقصد تعلق الفعل بمفعول غير مذكور، ولابد من تقديره، إن عاماً فعام وإن خاصا فخاص ففي قوله تعالى﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾يعني أحدا، وهنا ناسب أن يحذف المفعول لقصد التعميم.

٥١٣. فيها: ﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾أهمية الدعوة.

٥١٤. تفيد: أنه لا يجوز أن يعبد غير الله مهما عظم قدره فالنبي عليه السلام مع جلالة قدره أمر بعبادة الله وحده فكيف يعبده هو أو غيره من دون الله.

٥١٥. تفيد: أن أعظم ما يدع إليه الدعاة هو إخلاص العبودية لله تعالى وحده لا شريك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾الرعد: [٣٧].

٥١٦. فيها: أن القرآن نزل بلسان العرب، وهذا هو محط الإعجاز، والتحدي البياني، ومن ثم بقية أنواع الاعجاز.

٥١٧. تفيد: أن الشريعة لا تفهم إلا إذا فهم اللسان العربي، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ﴾والإخلال في ذلك قد يؤدي إلى البدعة، ولا بد.

٥١٨. تفيد: أن القرآن الكريم قول فصل مبين للحق وهذا مستفاد من قوله: ﴿حُكْمًا﴾.

٥١٩. تفيد: أن لا أحد يخرج عن التكاليف، فإن كان أعظم البشرية ﷺ يهدد بهذا التهديد في أمر قد عصم منه فكيف بسواه.

٥٢٠. تفيد: أن كل حكم سوى حكم الشرع فهو هوى، لذلك لم يستثن الله أي حكم؛ بل جعلها جميعا أهواء.

٥٢١. فيها: النهي عن اتباع الأهواء الأخرى غير شريعة الاسلام.

٥٢٢. فيها أن كل ما يخالف القرآن الكريم هو هوى وجهل.

٥٢٣. منها: المداهنة في الدين نفاق، والمداراة خلق.

٥٢٤. ومنها: أيسر طريق للشتات، والتخبط تتبع الأهواء.

٥٢٥. تفيد: التهديد العظيم، والوعيد الكبير لمن علم ما في القرآن ثم اتبع حكما سواه.

٥٢٦. تفيد: مكانة علوم الشريعة عموماً وعلوم القرآن خصوصاً؛ لأن الله جل في علاه قد عرف العلم هنا بأل التعريف يقصد بذلك القرآن الكريم وأحكامه.

٥٢٧. تفيد: تعظيماً للنبي ﷺ كون القرآن جاءه هو والأمة تبعا له ﴿جَآءَكَ﴾.

٥٢٨. فيها: تهديد لأهل العلم الذين حادوا عن الطريق بعدما عرفوه.

٥٢٩. تفيد: أن مسؤولية العالم أشد من غيره؛ فانحرافه عن الحق بعد علمه به جرم كبير.

٥٣٠. تفيد: أن من أعظم العقوبات لمن حكم غير القرآن، تخلي الله عنه وعن نصرته؛ لذلك كان التهديد هنا بانتفاء الولاية، والوقاية..

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾الرعد: [٣٨-٣٩].

٥٣١. تفيد: كثرة الرسل وعظمتهم والتنويه بهم؛ دل على ذلك الجمع والتنكير والتنوين ﴿رُسُلًا﴾.

٥٣٢. تفيد: مشروعية الزواج، وأنه من الفطرة ومن الأعمال الصالحة التي عملها الرسل الكرام صلوات ربي وسلامه عليهم.

٥٣٣. تفيد: ردا على من يطعنون في رسالة النبي مُحَمَّد ﷺ، وينتقدون كثرة زواجه من النساء، فهو ليس بدعاً من الرسل، فقد سبقه إلى ذلك كثير من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

٥٣٤. استدل على تفضيل النكاح على التفرغ لنوافل العبادات بأن الله تعالى اختار النكاح لرسله، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ واقتطع من زمن كليمه موسى عشر سنين في رعاية الغنم مهرا لزواجه، واختار لنبيه – ﷺ – أفضل الأشياء فزوجه تسعا فأكثر، ولا هدي فوق هديه ﷺ.

٥٣٥. فيها: أنه لا رهبانية في الإسلام.

٥٣٦. تفيد: أن من مقاصد النكاح الشرعي طلب الذرية.

٥٣٧. فيها أن النكاح من سنن المرسلين للترغيب فيه، والعاقل إن خير بين هدي الانبياء والمرسلين، وهدي غيرهم فإنه لا شك أنه يختار هدي الأنبياء، والمرسلين، فإنه أكمل الهدي، وقد قال النبي ﷺ " وأتزوج النساء" فمن رغب عن سنتي فليس مني"[(١)].

٥٣٨. مكانتك، ومنصبك، وأعمالك، لا تعفيك من الاهتمام بزوجتك وأولادك، فمهما تكن أعمالك واهتماماتك فهي دون عمل الأنبياء عليهم السلام.

٥٣٩. فيها: الرد على الغلاة، الذين يصرفون ما هو من خصائص الله إلى من يزعمون أنهم أولياء، فإذا كان الأنبياء، وهم ولدوا كما ولد البشر، لهم آباء وأمهات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، يتزوجون ويولد لهم، ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصحون ويمرضون، ويأتي عليهم ما يأتي على البشر، فلا معنى لصرف شيء من خصائص الله لهم فالكل مفتقر إلى الله تعالى في اسر قبضته ذليل عان.

٥٤٠. فيها: أن الرسول لا يأت بآيات إلا بإذن الله.

---

(١) أخرجه البخاري ٢/٧، ومسلم ١٠٢٠/٢.

٥٤١. في الآية من البدائع اللغوية، وجوب تقديم الخبر، لأنه من قبيل الابتداء بالنكرة التي ليس لها مسوغ إلا تقدم الخبر، وهو إما ظرف وإما جار ومجرور والآية من النوع الثاني في قوله" ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾وإنما وجب تقديم الخبر هنا، لدفع توهم السامع أنه صفة لا خبر. ولأن النكرة أحوج إلى الصفة منها إلى الخبر، ولبقي ينتظر الخبر.

٥٤٢. في الآية الكريمة يتجلى أسلوب الاستخدام في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾يمحو الله ما يشاء ويثبت "، فإن لفظة كتاب يراد بها الأمد المحتوم، ويراد بها الكتاب، بمعنى المكتوب، وهي متوسطة بين لفظتي ﴿أَجَلٍ﴾و﴿يَمْحُواْ﴾فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الأمد، واستخدمت يمحو لمفهوم الآخر، وهو المكتوب، والاستخدام يخالف التورية لأن التورية هي استعمال أحد المعنيين من اللفظة، وإهمال الآخر، والاستخدام استعمالهما جميعاً.

٥٤٣. فيها إثبات القدر، ودرجة من درجاته وهي الكتابة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾الرعد: [٤٠].

٥٤٤. تفيد: أن المرء، ينبغي عليه أن يبلغ ولا يتعجل ثمرة دعوته؛ فإن الله إن شاء عجل له وأقر عينه بنجاحها وهو حي، وإن شاء فعل ذلك بعد مماته وأقر عينه في أخراه.

٥٤٥. تفيد: أن مهمة الأنبياء، والدعاة من بعدهم ابلاغ الحق وبيانه للناس، أما الهداية والجزاء فهي لله جل وعلا.

٥٤٦. اشتملت الآية على الوقوف موقف الأدب مع الله تعالى: فمهما رأى الداعية من غفلة الناس وإعراضهم ولهوهم فليمسك لسانه عن تقرير مصائرهم، ويتذكر–وهو يقيس مستويات رضى الله وسخطه عن أفراد خليقته– أن الله وصف نفسه كثيرا بقوله [يغفر لمن يشاء] وهذه المشيئة دائرة فسيحة، يضع الله فيها من يشاء برحمته ويبعد عنها من يشاء، بعدله ولا معقب لحكمه، ولن يسأل الداعي إلى الله عن اقتراح أهل هذه المشيئة أو استبعادهم، وقد قال الله لنبيه وخليله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، وقال له ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾، فأما المصائر الأخروية، وتوزيع أفراد الناس على منازل الجنة ودركات النار فهذا إلى الله وحده دون ما سواه.

٥٤٧. فيها: أنه ينبغي للداعية أن ينشغل بالأمر الذي كلف به وهو يقدر عليه ألا وهو البلاغ، ولا ينشغل بالأمر الذي لا يقدر عليه، ولم يكلف به، ولن يسأل عنه.

٥٤٨. إبلاغ للنبي ﷺ بأنه لن يرى بلوغ الدين ذروته.

٥٤٩. ما وعد الله تعالى به من عذاب أو نعيم، له وقته الذي لا يعلمه غيره؛ ولكن علينا اليقين بتحققه ولو بعد حين.

٥٥٠. فيها: أن النبي ﷺ مبلغ عن الله.

٥٥١. مسئولية الدعاة هو التبليغ بيسر وإحسان وكان عليه السلام يعلم ما عليه فيقول" اللهم قد بلغت"(١).

٥٥٢. فيها: أكثر ما يضيع جهد الداعية انشغاله بمحاسبة العباد.

٥٥٣. فيها: الله المحاسب للعباد سواء شهد النبي ﷺ ذلك أم لم يشهده.

٥٥٤. فيها: أن حساب العباد، ومجازاتهم بما عملوا على ربهم سبحانه وتعالى.

٥٥٥. فيها: تسلية للرسول ﷺ بأن لا يحمل هم ما يمكر به القوم فالله عز وجل هو من يتولى مجازاتهم، وعقوبتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد: [٤١].

٥٥٦. تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وسعة ملكة فالأرض ملكه ينقصها كيف يشاء ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر: [٦٧].

٥٥٧. تفيد: أن التحليل، والتحريم حق الله تعالى لا يشركه فيه أحد.

٥٥٨. فيها: تقرير لقاعدة" أن كل فعل لله تعالى معلق بالمشيئة، فإنه مقرون بالحكمة، وليس شيء من فعله معلقاً بالمشيئة المجردة، لأن الله لا يشرع ولا يفعل إلا الحكمة، وبهذا التقرير نفهم أن المشيئة يلزم منها وقوع المشاء، ولهذا كان المسلمون يقولون: ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن"(٢).

٥٥٩. تفيد: أنه ليس يتعقب أحد حكم الله تعالى بنقض ولا تغيير.

---

(١) أخرجه البخاري ١/٣٠، ومسلم ١/٢٠١.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٠/٩٥٨.

٥٦٠. فيها أن حكم الله تعالى هو أحسن الحكم؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾المائدة: [٥٠].
قال السعدي: ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ويدخل في هذا حكمه الشرعي، والقدري، والجزائي، فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه"[١].

٥٦١. ومنها: أن العبد قد يخطط ويدبر ثم يقع غير ذلك كله لحكمة الله فعش تحت كنف تدبيره مطمئن أيها الضعيف.

٥٦٢. أن ما نعيشه بسبب كورونا من نقص في الأموال والأنفس هو من نقص الأرض. وذلك لأن الآية واردة في سياق الوعيد ويؤكده قوله ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾الرعد: [٤٢].

٥٦٣. فيها: أن الله تعالى أثبت لهم مكرا في قوله﴿وَقَدْ مَكَرَ﴾وهذا باعتبار الكسب، وأما نفيه عنهم في قوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾فهو باعتبار الخلق، والمعنى أن مكرهم لا يضر إلا بإرادته جل وعلا.

٥٦٤. فيها الرد على الجبرية، والقدرية إذ أثبت لهم مكرا في قوله﴿وَقَدْ مَكَرَ﴾ونفاه عنهم في قوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾.

٥٦٥. يستفاد من تقديم الجار والمجرور الحصر فيفيد: تَنْزِيل مَكْر غَيْره مَنْزِلَة الْعَدَم؛ ففيه الإبانة عن عظيم قدرته ثم قرنه بذكر إحاطة علمه لما هم عليه، فأَفاد غايَة التَحذِير.

٥٦٦. قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾ يعني عند الله جزاء مكرهم؛ ففيه تسلية للنبي ﷺ وأمان له من مكرهم"[٢].

٥٦٧. تفيد: إحاطة الله تعالى بمكر الكفار علماً وجزاء وخلقاً وتقديراً.

٥٦٨. ومنها : أنَّ مكر الماكرين مخلوقٌ له، ولا يضُرُّ إلَّا بإرادته؛ فإثباتُه لهم باعتبارِ الكَسبِ، ونفيه عنهم باعتبارِ الخَلقِ.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٢٠.
(٢)فتح البيان للقنوجي ٧/٧٤.

٥٦٩. فيها التحذير من معاداة دين الله، أو أتباعه، أو حتى أمر من أوامره.

٥٧٠. صدر الآية في شأن السابقين، والتذكير بعاقبة مكرهم ثم قرن ذلك بإحاطة علمه بكسب كل نفس؛ فأفادت التحذير من عاقبة المكر، والتخويف لكل صاحب مكر بدين الله وأوليائه، وتضمنت التنبيه على كلاءته لأتباع دينه وأوليائه إلى قيام الساعة.

٥٧١. فيها أن المكر بالرسل من ديدن الكفار من قديم وهو متواصل؛ ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

٥٧٢. وفيها: العبرة بالخواتيم.

٥٧٣. تفيد: أن العاقبة المحمودة هي لأهل الإيمان وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾الرعد: [٤٣].

٥٧٤. فعل المضارع ﴿وَيَقُولُ﴾يفيد: استمرارهم ودابهم على هذا القول الباطل.

٥٧٥. فيها: كثرة إيذاء الكفار للنبي – ﷺ؛ بدليل المضارع ﴿وَيَقُولُ﴾

٥٧٦. إن الأصل والفطرة في الإنسان هو الإيمان، فلم يقل(الكفار) وإنما قال﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ليبين أن معدن الإنسان هو الخير وحب الدين.

٥٧٧. تفيد: أن ديدن أهل الكفر هو التكذيب، والجحود بكل ما يأتي من الله عز وجل كما قال الله عز وجل ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

٥٧٨. يستأنس داعية الحق بأنه مع الله، ودعوته لله، فهو شهيد عليه وعلى تأديته لأمانة التبليغ، وشهيد على من استجاب ومن أعرض، وكذب.

٥٧٩. قوله تعالى:﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾تقديم النفس علي الغير يفيد: كذلك أن دفع الضرر عن النفس مقدم على دفع الضرر عن الغير

٥٨٠. تفيد: كمال إرادة إظهار الحق وإحقاقه ولو كان علي النفس فقدم النفس علي الغير إمعانا في الزامها بالحق قبل الغير.

٥٨١. فيها: أن شهادته جل وعلا أصدق شهادة وأعدلها، فإنها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به، فيكون الشاهد به أعدل الشهداء وأصدقهم"[(١)].

---

(١)مدارج السالكين (٣ / ٤٦٩).

٥٨٢. تسلية النبي ﷺ، فالله تعالى لقّنه مقولاً ليرد به على الكفار ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، وهذا من لطف الله تعالى بنبيه أنه معه، وناصره في كل وقت.

٥٨٣. تفيد: أن شهادة علماء أهل الكتاب الصادقين تؤيد، وتثبت رسالة النبي ﷺ كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، ونحوه.

٥٨٤. تفيد: أن العبرة بالعلم لا بالأعيان والأشخاص ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٥٨٥. فيها أنه الله تعالى قرن شهادة أهل العلم بشهادته، وشهادة ملائكته على أعظم مشهود وهي الشهادة له بالتوحيد، وهنا قرن شهادتهم بشهادته في إثبات نبوة مُحَمَّد ﷺ.

٥٨٦. تفيد: أن شهادة أهل الكتاب الموافقة لما في القرآن، أو السنة مقبولة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٥٨٧. تفيد: شرف، وعلو مكانة، العلم، والعلماء.

بحمد الله تعالى

وبهذا تمت سورة الرعد في ٥٨٧ هداية

بتاريخ ٧/٩/١٤٤٢هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور محمد عبد الرازق مصطفى